

مواقف أهل السنة

أهميته وأسس تحقيقه

جمع وإعداد

الشيخ / أحمد بن حسن المعلم







توحيد

مواقف أهل السنة

أهميته وأسس تحقيقه

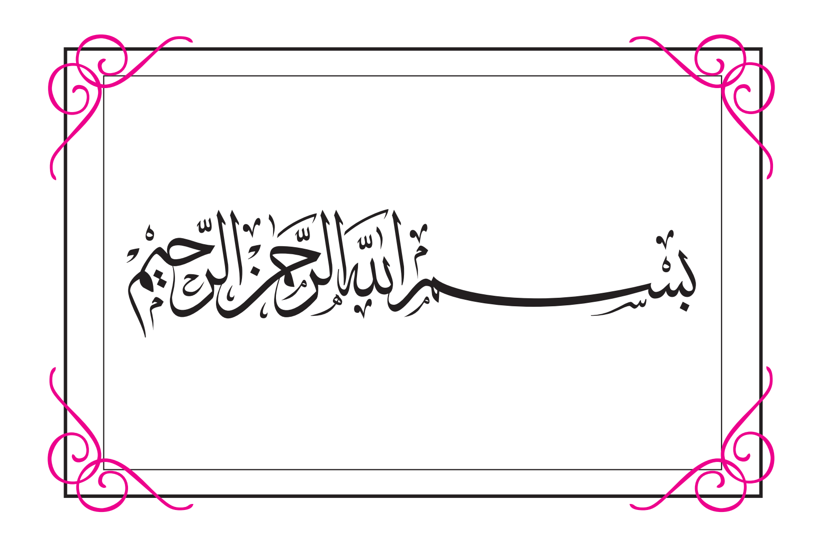
جمع وإعداد

أحمد بن حسن المعلم

جامع الكلمة للنشر والتوزيع

مركز الفكر للدراسات
حضرموت - تريم




بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الثانية

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، **أما بعد:**

فإن هذا الكتيب المتضمن نداءً لتوحيد مواقف أهل السنة؛ لجلب مصالحهم العليا ودفع المخاطر المحدقة بهم قد صدرت طبعته الأولى قبل ما يقارب سنةً من الآن، وقد نفدت تلك الطبعة، ومن فضل الله أنه قوبل بقبولٍ حسنٍ.

وتكرر الطلب لاقتنائه من أكثر من طرف؛ لذا عزمت على إعادة طبعه مع العودة إليه واستيعاب ما وصل إليَّ من ملاحظاتٍ عليه بالزيادة أو الحذف أو التعديل، فأسأل الله أن تكون هذه الطبعة أقرب إلى الكمال من سابقتها، مع علمي بقصوري وقصور ما يصدر عني، لكن الأمل في الله كبير أن يستر العيب ويسد الخلل ويبارك في القليل.

الرياض في ١٧/٧/١٤٤٤

أحمد بن حسن المعلم







توحيد مواقف أهل السنة

أهميته وأسس تحقيقه من منظور شرعي







المقدمة

الحمد لله الآمر بالجماعة والائتلاف الناهي عن التنازع والاختلاف الدال على ما تجتمع به القلوب المحذر مما يجلب الفتن والخطوب الموجب أداء الحقوق المحرِّم للظلم والبغي والعقوق.

والصلاة والسلام على نبي الرحمة الأسوة الحسنة للأمة الذي جعل من أصول الدين جمع كلمة المؤمنين وترك من الأعمال الفاضلة بل الواجبة ما خشي أن يكون في فعله تنفير لبعض المسلمين.

القائل صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ**»[١]، وعلى آله وأصحابه الذين قرَّروا أنَّ الخلاف شر وأنه أسوأ من ترك بعض ما يعتقدون ترجيحه وأضر.

أما بعد:

فإن ما تمر به أمة الإسلام هذه الأيام من ضعف وهوان وتسلط أعداءٍ، بسبب بعدها عن الله و تفرق أبنائها وتنازعهم وفساد ذات

(١) أخرجه البخاري، كتاب المظالم والغصب، باب: لا يظلم المسلم المسلم ولا يسلمه (٣/ ١٢٨ برقم ٢٤٤٢)، و مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب: تحريم ظلم المسلم، وخذله، واحتقاره ودمه، وعرضه، وماله (٤/ ١٩٨٦ برقم ٢٥٦٤).





بينهم، يحتم على كل غيور صادق محب لأمته أن يسعى في جمع كلمتها ورص صفوفها وتوحيد مواقفها، حتى تكون على الصفة التي يحبها الله تعالى والتي أرشد إليها بقوله تعالى في بيان حقيقتها: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُونِ﴾ [الأنبياء:٩٢]، وقوله في بيان علاقة المؤمنين بعضهم ببعض: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَيۡءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْۚ وَإِنِ ٱسۡتَنصَرُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ فَعَلَيۡكُمُ ٱلنَّصۡرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوۡمِۭ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُم مِّيثَٰقٞۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ٧٢ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٍۚ إِلَّا تَفۡعَلُوهُ تَكُن فِتۡنَةٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَفَسَادٞ كَبِيرٞ﴾ [الأنفال:٧٢-٧٣]، وقوله فيما يريد أن يكونوا عليه عند مواجهة عدوهم والمخاطر التي تتهددهم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفّٗا كَأَنَّهُم بُنۡيَٰنٞ مَّرۡصُوصٞ﴾ [الصف:٤].

ذلك المسعى الذي كان من أبرز أهداف رسالة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ؛ حيث كان من أول ما عمله حين وطأت قدماه المدينة: ثلاثة أعمال عظيمة:

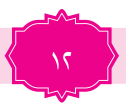


أولها: بناء المسجد؛ ليربط الأمة بربها من خلال العبادة القائمة على كلمة التوحيد، ويربط بعضها ببعض من خلال الأعمال المرتبطة بالمسجد، وأعظمها الصلاة؛ ولذا كان يحرص على تسوية صفوفهم فيها ويحذِّرهم من الاختلاف قائلًا: «**لَتُسَوُّنَّ صفوفكم أو ليخالفنَّ الله بين وجوهكم**»[(١)].

ثانيها: المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار[(٢)]، تلك الخطوة التي أظهرت صدق الإيمان وقوَّة اليقين واكتمال الأخوة الإيمانية لدى المهاجرين والأنصار جميعًا وصبغتهم بصبغة اللحمة الواحدة التي وصفها الله تعالى بقوله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ﴾ [الأنفال:٧٢] وقد نوه القرآن الكريم بذلك في قوله تعالى: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ

(١) رواه البخاري (٢/ ١٢٨) برقم (٧١٧)، ومسلم (١/ ٣٢٤) برقم (٤٣٦).

(٢) رواه مسلم في كتاب: فضائل الصحابة، باب: مؤاخاة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بين أصحابه (٧/ ١٨٣) رقم (٢٥٢٩) من حديث أنس.



خَصَاصَةٌۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ٩ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر:٨-١٠]، والتي امتن الله بها عليهم حيث قال تعالى: ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا وَكُنتُمۡ عَلَىٰ شَفَا حُفۡرَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنۡهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ﴾ [آل عمران:١٠٣].

وامتن بها الرسول صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ على الأنصار حين وجدوا في أنفسهم ما وجدوا عند قسمة غنائم حنين؛ حيث قال صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: **«يَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ، أَلَمْ أَجِدْكُمْ ضُلاَّلاً فَهَدَاكُمُ اللهُ بِي، وَكُنْتُمْ مُتَفَرِّقِينَ فَأَلَّفَكُمُ اللهُ بِي، وَعَالَةً فَأَغْنَاكُمُ اللهُ بِي»**(١).

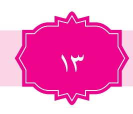
ثالثها: كتابة الوثيقة: ولم يكتف صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ بذلك، بل وسَّع الدائرة وعمل على ضمان أمن المدينة واستقرارها بتوحيد

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة الطائف (٥/ ١٥٧ برقم ٤٣٣٠)، ومسلم، كتاب الزكاة، باب إعطاء المؤلفة قلوبهم على الإسلام وتصبر من قوي إيمانه (٢/ ٧٣٨ برقم ١٠٦١) عن عبدالله بن زيد رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ.







مواقف ساكنيها على ما فيه مصالحهم العليا من تحقيق قُوَّتِهم وهيبةِ مدينتهم أمام أعدائهم واتقاء الأخطار المحدقة بهم فكتب الوثيقة التي وحَّدتْ كلمة ساكني المدينة من مسلمين ويهود ومشركين[(١)].

كما أنه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أدخل قبيلة خزاعة وهي لا تزال على شركها في عهده، كما في حديث المسور ابن مخرمة ومروان بن الحكم عند أحمد في قصة صلح الحديبية: (وَكَانَ فِي شَرْطِهِمْ حِينَ كَتَبُوا الْكِتَابَ أَنَّهُ مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَدْخُلَ فِي عَقْدِ مُحَمَّدٍ وَعَهْدِهِ دَخَلَ فِيهِ، وَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يَدْخُلَ فِي عَقْدِ قُرَيْشٍ وَعَهْدِهِمْ دَخَلَ فِيهِ، فَتَوَاثَبَتْ خُزَاعَةُ فَقَالُوا: نَحْنُ مَعَ عَقْدِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَهْدِهِ، وَتَوَاثَبَتْ بَنُو بَكْرٍ، فَقَالُوا: نَحْنُ فِي عَقْدِ قُرَيْشٍ وَعَهْدِهِمْ)[(٢)].

وإذا كان الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد عمل على توحيد مواقف أهل المدينة وهم مللٌ شتى على ما فيه مصلحتهم العليا، فمن باب أولى يشرع بل يتأكد السعي لتوحيد مواقف أمة الإسلام وبالأخص أهل السنة منهم بمفهومهم الواسع -توحيد مواقفهم على ما يحقق مصالحهم العليا- ويدفع عنهم الأخطار الكبرى المحدقة بهم -توحيد

---

(١) ينظر: السيرة النبوية، لابن هشام (١/ ٥٠١)، والسيرة النبوية الصحيحة، د: أكرم ضياء العمري (١/ ٢٧٣)، وثيقة المدينة، د: أحمد الشعيبي (ص٤٠).

(٢) المسند طبع الرسالة (ج٣١) (ص٢١٨) وحسن المحققون إسناده.



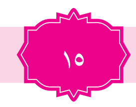
مواقفهم- وليس توحيد قناعاتهم وإزالة كل ما بينهم من خلاف، وإنما توحيد المواقف وإحسان إدارة الخلاف والتأدب بأحسن آدابه ؛ إذ إزالة الخلاف من أصله مُحَالٌ، كيف وقد قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**فإنه مَنْ يعش منكم بعدي فسيرى اختلافًا كثيرًا**»[1]. إذن الذي نسعى لإزالته هو النزاع الذي هو سبب الفشل وذهاب الريح، كما قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْۖ وَٱصْبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [الأنفال:٤٥-٤٦]، كما نسعى لإزالة أسباب هذا النزاع وإيضاح السبل المانعة من حصوله.

ونظرًا لمكانة هذا الموضوع وأهميته رأيت أنْ أوجِّه هذا النداء للقيادات وأهل الحلِّ والعقد من أهل السنة والجماعة -كل أهل السنة والجماعة- بمفهومهم الواسع، والذي يتضمن عددًا من المباحث والقواعد تبين المقصود من البحث في هذه الظروف الفارقة من حياة الأمة عامة، وأهل السنة والجماعة خاصة، بمفهومها العام والخاص، من خلال المباحث الآتية:

---

(١) رواه الإمام أحمد برقم (١٧١٤٤) طبعة الرسالة وأبوداود برقم (٤٦٠٧) تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد طبع المكتبة العصرية صيدا وغيرهما.





المبحث الأول

حقائق لا بد من معرفتها

ومن أجل تحقيق هذا المسعى أذكِّر ببعض الحقائق التي يجب أن يعرفها المسلمون وهي:

الحقيقة الأولى: أمة الإسلام أمة واحدة:

أمة الإسلام أمة واحدة، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُونِ ﴾ [الأنبياء:٩٢].

ربها واحد وكتابها واحد ونبيها واحد وقبلتها واحدة وأصول عقائدها واحدة.

قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**الْمُؤْمِنُونَ تَكَافَأُ دِمَاؤُهُمْ، وَهُمْ يَدٌ عَلَى مَنْ سِوَاهُمْ، وَيَسْعَى بِذِمَّتِهِمْ أَدْنَاهُمْ، أَلا لَا يُقْتَلُ مُؤْمِنٌ بِكَافِرٍ، وَلا ذُو عَهْدٍ فِي عَهْدِهِ، مَنْ أَحْدَثَ حَدَثًا أَوْ آوَى مُحْدِثًا، فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ، وَالْمَلائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ**»[1].

---

(١) أخرجه أحمد (٢/ ٢٨٦برقم٩٩٣)، وأبو داود، كتاب الديات، باب: أيقاد المسلم بالكافر (٤/ ١٨٠برقم٤٥٣٠)، والنسائي، كتاب القسامة، باب: =



وهـذا يشـمل جميع طوائـف الأمة، ويقـرر وحدتها وتسـاويها في الحقوق العامة وتسـاويها كذلك في الالتزام بالواجبات، فلا يهدر حق فرد أو جماعة منهم ولا يعفى من القيام بالواجب الجماعي الذي تحتاجه الأمة أحد منهم وإن كان مغموصًا في دينه مادام ظاهره الإسلام.

ومـن أبرز الأدلة على ذلك عتاب الله لرسـوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حين أذن للمنافقـين الذين تخلفوا عن غزوة تبوك، فدلَّ على أن معاملتهم كانت بحسب ما ظهر منهم لا بحقيقة ما في قلوبهم.

الحقيقة الثانية: حق المسلم ثابت بمجرد إعلانه للإسلام:

كلُّ مَنْ ثبتَ له عقد الإسـلام في الظاهر فهو المسلم الذي له على بقيـة إخوانه المسـلمين حق الإسـلام، قال رسـول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«أُمِـرْتُ أَنْ أُقَاتِـلَ النَّـاسَ حَتَّى يَشْـهَدُوا أَنْ لاَ إِلَـهَ إِلَّا اللّٰهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُـولُ اللّٰهِ، وَيُقِيمُـوا الصَّلاَةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ، فَـإِذا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّ الإِسْلاَمِ، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللّٰهِ»**(١).

= القـود بين الأحرار والمماليك في النفس (٨/ ١٩برقم٤٧٣٤) عن علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وصححه الألباني في إرواء الغليل (٧/ ٢٦٦برقم٢٢٠٩).

(١) أخرجـه البخـاري، كتـاب الإيـمان، بـابٌ: ﴿فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمْ﴾ [التوبة:٥] (١/ ١٤برقم٢٥)، ومسلم، كتاب الإيمان، =

وقال ﷺ: «**مَـنْ صَلَّى صَلاَتَنَـا وَاسْـتَقْبَلَ قِبْلَتَنَا، وَأَكَلَ ذَبِيحَتَنَـا فَذَلِكَ الْمُسْـلِمُ الَّذِي لَهُ ذِمَّـةُ اللهِ وَذِمَّةُ رَسُـولِهِ، فَلاَ تُخْفِرُوا اللّهَ فِي ذِمَّتِهِ**»(١).

وقال ﷺ: «**كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ، دَمُهُ، وَمَالُهُ، وَعِرْضُهُ**»(٢).

وقد يُستثنى بعض هذه الحقوق لعارض مثل:

١- أن يقـع المرء في حدٍّ من حدود الله فيقام عليه الحد بضوابطه المعروفـة أو يسـعى في تفريق الأمة وهي مجتمعة عـلى إمام لها راضية به فيخرج عليها وعليه يريد إحداث إمامةٍ أخرى أو إسـقاطه بالقوة ليحـلَّ محله فهذا يقاتل عقوبـةً له ودفعًا للضرر المترتب على خروجه وزجرًا لغيره أن يفعل مثل فعله.

= بـاب: الأمـر بقتال الناس حتـى يقولـوا لا إلـه إلا الله (١/ ٥٣برقم٢٢) عن عبدالله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(١) أخرجـه البخاري،كتـاب الصـلاة، بـاب: فضـل اسـتقبال القبلـة (١/ ٨٧ برقم٣٩١)، ومسـلم، كتاب الأضاحي، بـاب: وقتها (٣/ ١٥٥٣ برقم١٩٦١) عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه مسـلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب: تحريم ظلم المسلم، وخذله، واحتقاره ودمه، وعرضه، وماله(٤/ ١٩٨٦ برقم٢٥٦٤) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ، يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ، إِلَّا بِإِحْدَى ثَلَاثٍ: الثَّيِّبُ الزَّانِي، وَالنَّفْسُ بِالنَّفْسِ، وَالتَّارِكُ لِدِينِهِ الْمُفَارِقُ لِلْجَمَاعَةِ»(١).

وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ أَتَاكُمْ وَأَمْرُكُمْ جَمِيعٌ عَلَى رَجُلٍ وَاحِدٍ، يُرِيدُ أَنْ يَشُقَّ عَصَاكُمْ، أَوْ يُفَرِّقَ جَمَاعَتَكُمْ، فَاقْتُلُوهُ»(٢).

٢- أو يقع في ذنب متعدٍّ يعودُ ضررُه على الأمة فيحتاج إلى تأديبٍ حتى يعود إلى رشده فيعزر بالهجر أو بغيره ممَّا يراه الإمام رادعًا له وزاجرًا لغيره أن يفعل مثل فعله، أو أن يكون داعية إلى بدعة منكرة وضلالة بيِّنة فيهجر ويعزل عن الوصول إلى عامة المسلمين حمايةً للدين وتحصينًا للمسلمين من وباء بدعته، وكل تلك الإجراءات لها

(١) أخرجه البخاري، كتاب الديات، باب قول الله تعالى: ﴿أَنَّ ٱلنَّفۡسَ بِٱلنَّفۡسِ وَٱلۡعَيۡنَ بِٱلۡعَيۡنِ وَٱلۡأَنفَ بِٱلۡأَنفِ وَٱلۡأُذُنَ بِٱلۡأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلۡجُرُوحَ قِصَاصٞۚ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٞ لَّهُۥۚ وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [المائدة:٤٥] (٩/ ٥ برقم ٦٨٧٨)، ومسلم، كتاب القسامة، باب: ما يباح به دم المسلم (٣/ ١٣٠٢ برقم ١٦٧٦) عن عبدالله ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

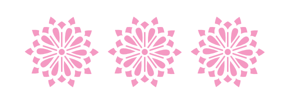
(٢) أخرجه مسلم، كتاب الإمارة، باب: حكم من فرق أمر المسلمين وهو مجتمع (٣/ ١٤٨٠ برقم ١٨٥٢) عن عرفجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ضوابطها التي متى كملت شروطها وطُبِّقَتْ تطبيقًا صحيحًا ترتبتْ عليها نتائجها النافعة، ومتى طُبِّقَتْ تطبيقًا خاطئًا ضرَّتْ ولَمْ تنفعْ.

الحقيقة الثالثة: انقسام الأمَّة إلى أهل سنة وأهل بدعة:

أمَّة الإسلام أو (أمة الإجابة) من حيث الجملة تنقسم إلى قسمين:

أهل سنة، وأهل بدعة، وفي كلا القسمين طوائف مختلفة تقتربُ من الحقِّ وتبتعد عنه بحسب قربها وبعدها من الصراط المستقيم، والمحجَّة البيضاء التي تركَنا عليها رسول الله ﷺ.



أهل السنة وانقسامهم إلى دائرتين

الدائرة الأولى: أهل السنة بمعناهم الخاص:

أهل السنة بمعناهم الخاص هم الذين تمسكوا بسنة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وخلفائه الراشدين، وكانوا على مثل ما كان عليه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه، ويقال لهؤلاء: أهل الحديث وأهل الأثر والسلف الصالح وأتباعهم الذين حفظوا الحديث وحافظوا عليه وعملوا به وأوصلوه إلى أجيال الأمة المتعاقبة حفظًا لنصوصه واستقامة على فصوصه[١] اعتقادًا وعملاً وعبادة وسلوكًا.

قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَنَحْنُ لَا نَعْنِي بِأَهْلِ الْحَدِيثِ الْمُقْتَصِرِينَ عَلَى سَمَاعِهِ أَوْ كِتَابَتِهِ أَوْ رِوَايَتِهِ، بَلْ نَعْنِي بِهِمْ: كُلَّ مَنْ كَانَ أَحَقَّ بِحِفْظِهِ وَمَعْرِفَتِهِ وَفَهْمِهِ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا وَاتِّبَاعِهِ بَاطِنًا وَظَاهِرًا، وَكَذَلِكَ أَهْلُ الْقُرْآنِ، وَأَدْنَى خَصْلَةٍ فِي هَؤُلَاءِ مَحَبَّةُ الْقُرْآنِ وَالْحَدِيثِ وَالْبَحْثِ عَنْهُمَا وَعَنْ مَعَانِيهِمَا وَالْعَمَلِ بِمَا عَلِمُوهُ مِنْ مُوجِبِهِمَا»[٢].

---

(١) فَصُّ الأَمرِ: أَصلُه وحقيقتُه. ينظر: لسان العرب، ابن منظور (٧/ ٦٦)، وتاج العروس، الزبيدي (١٨/ ٧٣).

(٢) مجموع الفتاوى، ابن تيمية (٤/ ٩٥).

وقدْ حدَّهُمْ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ بأنهم: «الْمُتَمَسِّكُونَ بِكِتَابِ اللهِ وَسُنَّةِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَبِمَا كَانَ عَلَيْهِ الصَّدْرُ الْأَوَّلُ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِيْنِ، وَأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ فِي قَدِيمِ الدَّهْرِ وَحَدِيثِهِ»(١).

يدلُّ على هذا الوصف قول النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حديث الافتراق عندما سُئِلَ عن الفرقة الناجية؟، قال: «**مَا أَنَا عَلَيْهِ الْيَوْمَ وَأَصْحَابِي**»(٢).

ويتحقَّق ذلك بضبط أصل الاستدلال والتلقِّي، فمَنْ ضبط هذا الأصل وبرئ من البدع العملية أو وقع في شيءٍ منها قليل بحيث لم يصطبغْ بها ولم تكن غالبة عليه، فهو من أهل السنة بمعناها الخاص وإن وقع فيما وقع من أخطاء عن اجتهاد أو تأويل أو تقليد سائغ، فيدخل فيهم كُلُّ مَنْ كان متَّبِعًا للسلف الصالح رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ في التلقي والاستدلال وهو: الاحتكام إلى الكتاب والسنة والإجماع الصحيح،

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (٦/ ٣١٧). عند تفسير الآية (٣٠- ٣١) من سورة الروم.

(٢) أخرجه الترمذي، كتاب الإيمان، باب:ما جاء في افتراق هذه الأمة (٥/ ٢٦برقم٢٦٤١)، والحاكم في المستدرك (١/ ٢١٨برقم٤٤٤)، والآجري في الشريعة (١/ ٣٠٨ برقم٢٤). وحسنه الألباني في صحيح الترمذي (١/ ٣٨ رقم ٢٦٤١).

وتقديم هذه الأصول على ما سواها ولو حصل منه موافقةٌ في بعض المسائل لبعض أهل البدع، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (فالمنتسبون إلى أهل الحديث والسنة والجماعة يحصل من بعضهم -كما ذكرت- تفريط في معرفة النصوص أو فهم معناها أو القيام بما تستحقه من الحجة ودفع معارضها فهذا عجز وتفريط في الحق، وقد يحصل منهم دخول في باطل إما في بدعة ابتدعها أهل البدع وافقوهم عليها واحتاجوا إلى إثبات لوازمها، وإما في بدعة ابتدعوها هم لظنهم أنها من تمام السنة كما أصاب الناس في مسألة كلام الله وغير ذلك من صفاته)[١].

قال الشاطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَذَلِكَ أَنَّ هَذِهِ الْفِرَقَ إِنَّمَا تَصِيرُ فِرَقًا بِخِلَافِهَا لِلْفِرْقَةِ النَّاجِيَةِ فِي مَعْنًى كُلِّيٍّ فِي الدِّينِ وَقَاعِدَةٍ مِنْ قَوَاعِدِ الشَّرِيعَةِ، لَا فِي جُزْئِيٍّ مِنَ الْجُزْئِيَّاتِ؛ إِذِ الْجُزْئِيُّ وَالْفَرْعُ الشَّاذُّ لَا يَنْشَأُ عَنْهُ مُخَالَفَةٌ يَقَعُ بِسَبَبِهَا التَّفَرُّقُ شِيَعًا، وَإِنَّمَا يَنْشَأُ التَّفَرُّقُ عِنْدَ وُقُوعِ الْمُخَالَفَةِ فِي الْأُمُورِ الْكُلِّيَّةِ، لِأَنَّ الْكُلِّيَّاتِ تَقْتَضِي عَدَدًا مِنَ الْجُزْئِيَّاتِ

(١) الصفدية (ج١) (ص ٣٩٣).

غَيْرَ قَلِيلٍ، وَشَأْنهَا فِي الْغَالِبِ أَلَا تختص بِمَحَلٍّ دُونَ مَحَلٍّ، وَلَا بِبَابٍ دُونَ بَابٍ)[١].

وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَيَجْرِي مَجْرَى الْقَاعِدَةِ الْكُلِّيَّةِ كَثْرَةُ الْجُزْئِيَّاتِ، فَإِنَّ الْمُبْتَدِعَ إذا أَكْثَرَ مِنْ إِنْشَاءِ الْفُرُوعِ الْمُخْتَرَعَةِ عَادَ ذَلِكَ عَلَى كَثِيرٍ مِنَ الشَّرِيعَةِ بِالْمُعَارَضَةِ، كَمَا تَصِيرُ الْقَاعِدَةُ الْكُلِّيَّةُ مُعَارَضَةً أَيْضًا، وَأَمَّا الْجُزْئِيُّ فَبِخِلَافِ ذَلِكَ، بَلْ يُعَدُّ وُقُوعُ ذَلِكَ مِنَ الْمُبْتَدِعِ لَهُ كَالزَّلَّةِ وَالْفَلْتَةِ، وَإِنْ كَانَتْ زَلَّةُ الْعَالِمِ مِمَّا يَهْدِمُ الدِّينَ)[٢].

وقال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (أَحَقُّ النَّاسِ بِأَنْ تَكُونَ هِيَ الْفِرْقَةُ النَّاجِيَةُ أَهْلُ الْحَدِيثِ وَالسُّنَّةِ؛ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ مَتْبُوعٌ يَتَعَصَّبُونَ لَهُ إِلَّا رَسُولَ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهُم أَعْلَمُ النَّاسِ بِأَقْوَالِهِ وَأَحْوَالِهِ وَأَعْظَمُهُمْ تَمْيِيزًا بَيْنَ صَحِيحِهَا وَسَقِيمِهَا، وَأَئِمَّتُهُمْ فُقَهَاءُ فِيهَا وَأَهْلُ مَعْرِفَةٍ بِمَعَانِيهَا وَاتِّبَاعًا لَهَا: تَصْدِيقًا وَعَمَلًا وَحُبًّا وَمُوَالَاةً لِمَنْ وَالَاهَا وَمُعَادَاةً لِمَنْ عَادَاهَا، الَّذِينَ يَرُدُّونَ الْمَقَالَاتِ الْمُجْمَلَةَ إِلَى مَا جَاءَ بِهِ مِنْ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ؛ فَلَا يُنَصِّبُونَ مَقَالَةً وَيَجْعَلُونَهَا مِنْ أُصُولِ دِينِهِمْ وَجُمَلِ كَلَامِهِمْ إنْ لَمْ تَكُنْ ثَابِتَةً فِيمَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ، بَلْ يَجْعَلُونَ مَا

(١) الاعتصام، الشاطبي (٣/ ١٣٩-١٤٠).
(٢) الاعتصام، الشاطبي (٣/ ١٤٠).



بُعِثَ بِهِ الرَّسُولُ مِنْ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ هُوَ الْأَصْلُ الَّذِي يَعْتَقِدُونَهُ وَيَعْتَمِدُونَهُ)[١].

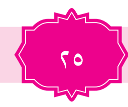
ويلحق بهؤلاء عوامُّ المسلمين بشرائحهم المختلفة، بما فيهم الكثير من نخبهم المتعلِّمة تعليمًا غيرَ شرعيٍّ وإنْ حملوا أرفع المؤهّلات في العلوم الدنيوية، فإنَّ مؤهلاتهم تلك لا تخرجهم عن جملة عوامِّ المسلمين فيما يتعلق بعلوم الشريعة ما لم يأخذوا العلم الشرعي أخذًا صحيحًا، وكذلك بعض رجال السياسة والحكم هم من هذه الناحية مِنْ عوامِّ المسلمين الذين الأصل فيهم السلامة من البدع المُضِلَّة -وإنْ وقعُوا في بعضها تقليدًا- ولم يغلِّبوا أهواءَهم على ما عَرَفُوا من الحق، ومَنْ كان هذا وصفه فلا يجوز أنْ يُوصَفَ بالبدعة أو الخروج عن السنة وقد يقع بين أهل هذا الوصف خلافٌ في مسائلَ عمليَّةٍ أو علمية يسوغ فيها الاجتهاد فلا تنقلُ أحدًا منهم عن دائرة أهل السنة.

قال ابن حزم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَأهل السُّنَّة الَّذين نذكرهم أهل الْحق وَمَنْ عداهم فَأهل الْبِدْعَة، فَإِنَّهُم الصَّحَابَة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، وكُلُّ من سلك نهجهم من خِيَار التَّابِعين -رَحْمَة الله عَلَيْهِم- ثمَّ أَصْحَاب الحَدِيث

(١) مجموع الفتاوى، ابن تيمية (٣/ ٣٤٧).







وَمَـنْ اتَّبَعَهُم من الْفُقَهَاء جيلًا فجيلًا إِلى يَوْمنَا هَذَا أَوْ مَنِ اقْتدى بهم من الْعَوامِّ فِي شَرق الأَرْض وغربها رَحْمَة الله عَلَيْهِم)[١].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَلِهَـذَا وَصَـفَ الْفِرْقَةَ النَّاجِيَـةَ بِأَنَّهَا أَهْـلُ السُّـنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ وَهُـمْ الْجُمْهُورُ الْأَكْبَرُ وَالسَّـوَادُ الْأَعْظَـمُ، وَأَمَّـا الْفِرَقُ الْبَاقِيَـةُ فَإِنَّهُمْ أَهْلُ الشُّـذُوذِ وَالتَّفَـرُّقِ وَالْبِدَعِ وَالْأَهْـوَاءِ وَلَا تَبْلُغُ الْفِرْقَةُ مِنْ هَؤُلَاءِ، قَرِيبًا مِـنْ مَبْلَغِ الْفِرْقَةِ النَّاجِيَةِ فَضْلًا عَنْ أَنْ تَكُونَ بِقَدْرِهَا)[٢].

وللشيخ الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعليق على حديث الافتراق، ونُقُولٌ عن بعض العلماء، تتوافق مع ما قرَّره ابن حزم وابن تيمية رحمهما الله تعالى[٣].

الدائرة الثانية: أهل السنة بمفهومهم الواسع:

مصطلح أهل السنة بمفهومه الواسع يطلق على جمهور الأمة مَا عدا الرافضة، فيدخل فيه أهل الحديث والأثر بمذاهبهم المختلفة، كما يدخل فيه متكلمو الأشاعرة والماتريدية ومعتدلوا الصوفية وغيرهم ممن سوى الرافضة.

(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل، ابن حزم (٢/ ٩٠).
(٢) مجموع الفتاوى، ابن تيمية (٣/ ٣٤٥-٣٤٦).
(٣) ينظر: السلسلة الصحيحة، الألباني (١/ ٣٥٨).



وهذا الإطلاق كثيرًا ما يردِّده شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في منهاج السنة؛ حيث كانت مواجهته هناك مع الرافضة.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (لَفْظُ أَهْلِ السُّنَّةِ يُرَادُ بِهِ مَنْ أَثْبَتَ خِلَافَةَ الْخُلَفَاءِ الثَّلَاثَةِ، فَيَدْخُلُ فِي ذَلِكَ جَمِيعُ الطَّوَائِفِ إِلَّا الرَّافِضَةَ، وَقَدْ يُرَادُ بِهِ أَهْلُ الْحَدِيثِ وَالسُّنَّةِ الْمَحْضَةِ، فَلَا يَدْخُلُ فِيهِ إِلَّا مَنْ يُثْبِتُ الصِّفَاتِ لله تعالى، وَيَقُولُ: إِنَّ الْقُرْآنَ غَيْرُ مَخْلُوقٍ، وَإِنَّ اللهَ يُرَى فِي الْآخِرَةِ، وَيُثْبِتُ الْقَدَرَ، وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنَ الْأُصُولِ الْمَعْرُوفَةِ عِنْدَ أَهْلِ الْحَدِيثِ وَالسُّنَّةِ)[1].

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في سياق حديثه عن الأشاعرة: (وإن كان في كلامهم من الأدلة الصحيحة وموافقة السنة ما لا يوجد في كلام عامة الطوائف فإنهم أقرب طوائف أهل الكلام إلى السنة والجماعة والحديث، وهم يُعَدُّونَ من أهل السنة والجماعة عند النظر إلى مثل المعتزلة والرافضة وغيرهم، بل هم أهل السنة والجماعة في البلاد التي يكون أهل البدع فيها هم المعتزلة والرافضة ونحوهم)[2] وقال الشيخ ابن عثيمين: (أهل السنة يدخل فيهم المعتزلة، يدخل فيهم

---

(١) منهاج السنة النبوية، ابن تيمية (٢/ ٢٢١).

(٢) بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية، ابن تيمية (٣/ ٥٣٨).

الأشـعرية، يدخل فيهم كل من لم يكفر من أهـل البدع، إذا قلنا هذا في مقابلة الرافضة.

لكـن إذا أردنـا أن نبـين أهل السـنة، قلنا: إن أهل السـنة حقيقة هم السـلف الصالح الذين اجتمعوا على السنة وأخذوا بها، وحينئذ يكون الأشـاعرة والمعتزلة والجهمية ونحوهم: ليسوا من أهل السنة بهذا المعنى» انتهى[١].

الحقيقة الرابعة: مَنْ هم المبتدعة المخالفون لأهل السنـة؟

المبتدعة المخالفون لأهل السنة: هم من خالفوا أصلًا أوْ أكثرَ من الأصول الكلية لأهل السـنة والجماعة وشـاقّواَ اللهَ ورسـولَه واتَّبعَوا غيرَ سـبيل المؤمنين من الصحابة والتابعين لهم بإحسان وأئمَّة الهدى المشـهود لهم بالاسـتقامة على السـنة واتَّبَعـواَ أهلَ البـدعِ المتفقِ على ابتداعهم عند أئمة أهل السـنة فتمسكوا بأصلٍ أو أكثر من أصولهم، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (و«الْبِدْعَةُ» الَّتِي يُعَدُّ بِهَا الرَّجُلُ مِـنْ أَهْلِ الْأَهْوَاءِ مَا اشْـتَهَرَ عِنْدَ أَهْلِ الْعِلْمِ بِالسُّـنَّةِ مُخَالَفَتُهَا لِلْكِتَابِ وَالسُّـنَّةِ؛ كَبِدْعَـةِ الْخَـوَارِجِ وَالرَّوَافِضِ وَالْقَدَرِيَّـةِ وَالْمُرْجِئَـةِ)[٢]،

---

(١) من «الشرح الممتع» (١١/ ٣٠٦).

(٢) مجموع الفتاوى (٣٥/ ٤١٤) ونص كلامه كاملًا يبدأ من (ص٤١٣).

وكذلك من أكثر من البدع العملية حتى صارتْ هي الغالبة عليه كما قرَّر ذلك الشاطبيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الاعتصام(١).

الموقف من المبتدعة وكيف تكون معاملتهم:

هؤلاء هم المبتدعة المخالفون الذين يستوجبُون الردَّ عليهم من خلال مناظرتهم وإقامة الحجة عليهم ودعوتهم إلى الحق، فإنْ أصرَّوا على ما هم عليه من الباطل لزم التحذير منهم واستوجبوا الهجر والزجر وفق الضوابط الشرعية التي وضعها علماء أهل السنة لأمثالهم، ولاسيما إذا كانوا دعاةً إلى بدعتهم.

الحقيقة الخامسة: توخِّي قاعدة مراعاة المصالح والمفاسد بضوابطها الشرعية في معاملة المخالفين:

ومعاملة المخالفين من المبتدعة وغيرهم بوجوهها المختلفة خاضعة لقاعدة جلب المصالح ودرء المفاسد، فإن اقتضتْ تغليظًا غلظ عليهم، وإن اقتضتْ تخفيفًا خفف عنهم، وإن اقتضتْ تأجيلًا أُجِّلَ تنفيذُها، وإن اقتضتْ إلغاءً أُلْغِيَتْ فهي ليستْ عبادةً توقيفيَّةً تُنَفَّذُ كما وردتْ.

---

(١) تقدم نص كلامه في صفحة (١٤) ؟؟؟؟؟؟؟

قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ وهو يتحدث عن هجر المبتدع: (وَهَذَا الْهَجْرُ يَخْتَلِفُ بِاخْتِلَافِ الْهَاجِرِينَ فِي قُوَّتِهِمْ وَضَعْفِهِمْ وَقِلَّتِهِمْ، وَكَثْرَتِهِمْ فَإِنَّ الْمَقْصُودَ بِهِ زَجْرُ الْمَهْجُورِ وَتَأْدِيبُهُ وَرُجُوعُ الْعَامَّةِ عَنْ مِثْلِ حَالِه: فَإِنْ كَانَتِ الْمَصْلَحَةُ فِي ذَلِكَ رَاجِحَةً بِحَيْثُ يُفْضِي هَجْرُهُ إلى ضَعْفِ الشَّرِّ وَخِفْيَتِهِ كَانَ مَشْرُوعًا، وَإِنْ كَانَ لَا الْمَهْجُورُ وَلَا غَيْرُهُ يَرْتَدِعُ بِذَلِكَ، بَلْ يُزِيدُ الشَّرَّ وَالهَاجِرُ ضَعِيفٌ، بِحَيْثُ يَكُونُ مَفْسَدَةُ ذَلِكَ رَاجِحَةً عَلَى مَصْلَحَتِهِ، لَمْ يُشْرَعِ الْهَجْرُ، بَلْ يَكُونُ التَّأْلِيفُ لِبَعْضِ النَّاسِ أَنْفَعَ مِنْ الْهَجْرِ. وَالْهَجْرُ لِبَعْضِ النَّاسِ أَنْفَعَ مِن التَّأْلِيفِ؛ وَلِهَذَا كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَأَلَّفُ قَوْمًا وَيَهْجُرُ آخَرِينَ)[1].

قلت: ويختلف كذلك باختلاف المخالفين في قوتهم وضعفهم وقلتهم وكثرتهم، فالرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هجر الثلاثة الذين خُلِّفُوا -وهم صادقون- وترك عقوبة المنافقين الكاذبين[2].

---

(١) مجموع الفتاوى، ابن تيمية (٢٨/ ٢٠٦).

(٢) انظر لمعرفة ذلك حديث كعب بن مالك. البخاري (ج٦) (ص٣) رقم (٤٤١) تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، طبع: دار طوق النجاة الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ ومسلم (ج٤) (ص٢١٢٠) رقم(٢٧٦٩) تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي طبع: دار إحياء التراث العربي - بيروت.

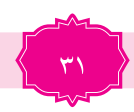
ولمْ يقتـل النبيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعـض المنافقين وقد فعلوا ما يُوجِبُ قتلَهـم؛ كما في قصة الخلاف الذي جرى بين المهاجرين والأنصار في غـزوة بني المصطلق، وما قاله عبد الله بـن أبيّ رأس المنافقين(١). وما ذاك إلا أن تلك العقوبة متروكة لتقدير المصلحة المترتبة على تنفيذها أو المفسدة التي ستنجم عن ذلك.

فالمنافقـون مختلطـون بالمؤمنـين ويظن من لم يخبر حقائق الأمور أنهم منهم، فلو قتلهم لفتح بابًا للدعاية السيِّئة التي يُنَفِّرُ بها من يريد أن يدخـل في الإسـلام؛ لأنَّ الإعـلام المعادي سَـيُوهِمُ مَنْ لا يعرفُ الحقيقـة أنَّ محمدًا يقتل أصحابه لشيءٍ في نفسـه فلا يرغب بعد ذلك أحدٌ في الدخول في الإسلام؛ خشية أن يصيبه ما أصاب أولئك فرأى النبيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنَّ مفسـدة تركهم أهْوَنُ من المفسدة التي ستترتب على قتلهم.

قال ابن القيم صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو يسـوق الخـلاف في قتل الزنديق وترجيحـه بين الأقوال في ذلـك: (فَالْجَوَابُ الصَّحِيـحُ إِذَنْ، أَنَّهُ كَانَ

(١) ينظـر لذلك حديث جابر بـن عبد الله رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: أخرجه البخاري، كتاب المناقب، بـاب: مـا ينهى مـن دعـوة الجاهليـة (٤/ ١٨٣ برقـم ٣٥٢٩)، ومسـلم في البر والصلة والآداب، باب نصر الأخ ظالمًا أو مظلومًا (٤/ ١٩٩٨ برقم ٢٥٨٤).





فِي تَـرْكِ قَتْلِهِـمْ فِي حَيَـاةِ النَّبِـيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَصْلَحَةٌ تَتَضَمَّـنُ تَأْلِيفَ الْقُلُوبِ عَلَى رَسُـولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَجَمْعَ كَلِمَةِ النَّاسِ عَلَيْهِ، وَكَانَ فِي قَتْلِهِـمْ تَنْفِـيرٌ، وَالْإِسْـلَامُ بَعْـدُ فِي غُرْبَةٍ، وَرَسُـولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحْرَصُ شَيْءٍ عَلَى تَأْلِيفِ النَّاسِ، وَأَتْرَكُ شَيْءٍ لِمَا يُنَفِّرُهُمْ عَنِ الدُّخُولِ فِي طَاعَتِهِ)[١]، وهذا دليلٌ على أنَّ هذا من مسائل الاجتهاد وليس من القطعيات، بل هو من القضايا التي تخضع لتقدير وليِّ الأمر، وهكذا كان دأب أئمة أهل السـنة في تعاملهم مـع بعض أهل البدع الكبرى كالجهميـة والرافضة والقدرية والخوارج، ومع شـدة الإنكار عليهم إلا أن معاملتهـم لهم اتسـمتْ في بعـض الأحيان وبعـض الأحوال باللطـف واللين كما سـيأتي وهـذا يؤكِّد أن موقفهم منهـم اجتهادي وخاضع لقانون المصلحة والمفسدة.

وشيءٌ آخَرُ مهمٌّ هو: أن عقوبة المخالفين والشدَّةَ عليهم غالبًا ما تكون في حال قوة المسـلمين واسـتتباب الأمر لهم، فيُعَنَّفُ المخالف ويُزجَـرُ أو يهجـر للحفاظ على الوضـع العام وعدم إتاحـة الفرصة لفتح الثغرات وتسـلّل المتسـلِّلين لنقض عرى الدين، ولَكَ أنْ تأخذ

---

(١) زاد المعاد (٣/ ٤٩٧) طبع: مؤسسـة الرسـالة، بيروت - مكتبة المنار الإسلامية، الكويت الطبعة: السابعة والعشرون، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م



نموذج الشدة على المخالف وصرامة الموقف منه وحسم مادة بدعته من موقف عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ من صبيغ بن عِسْل الذي كان يتعمَّق بأفكاره ويسأل أسئلةً عن متشابه القرآن يلوح منها التعمق والتكلُّف؛ قال ابن حجر في الإصابة: (روى الدّارميّ من طريق سليمان بن يسار، قال: قدم المدينة رجل يقال له صبيغ، (بوزن عظيم وآخره مهملة، ابن عسل، فجعل يسأل عن متشابه القرآن، فأرسل إليه عمر فأعد له عراجين النخل، فقال: من أنت؟ قال: أنا عبد الله صبيغ، قال: وأنا عبد الله عمر، فضربه حتى أدمى رأسه، فقال: حسبك يا أمير المؤمنين، قد ذهب الّذي كنت أجده في رأسي)[١].

وموقف عبد الله بن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا من القدرية حيث أعلن النكير عليهم والبراءة منهم حيث قال له السائل: (أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ إِنَّهُ قَدْ ظَهَرَ قِبَلَنَا نَاسٌ يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ، وَيَتَقَفَّرُونَ الْعِلْمَ، وَذَكَرَ مِنْ شَأْنِهِمْ، وَأَنَّهُمْ يَزْعُمُونَ أَنْ لَا قَدَرَ، وَأَنَّ الْأَمْرَ أُنُفٌ، قَالَ عبد الله: «فَإِذَا لَقِيتَ أُولَئِكَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنِّي بَرِيءٌ مِنْهُمْ، وَأَنَّهُمْ بُرَآءُ مِنِّي»، وَالَّذِي يَحْلِفُ بِهِ

---

(١) الإصابة في تمييز الصحابة طبع: دار الكتب العلمية - بيروت تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض الطبعة: الأولى ١٤١٥هـ.

عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ «لَوْ أَنَّ لِأَحَدِهِمْ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا، فَأَنْفَقَهُ مَا قَبِلَ اللهُ مِنْهُ حَتَّى يُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ»[(١)].

بينما نجد الموقف يختلف في عهد عليّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حيث لمْ يبادرْ بالاقتصاص من قتلة عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ لأنه كان يرى المصلحة في تأجيل عقابهم، بل كان بعض رؤوس تلك الفتنة ضمن جيشه، ونحن نجزم بل نقسم أنه لم يكن راضيًا عنهم، ولكنه كان يرى المصلحة في تأجيل عقابهم؛ مراعاةً للمآل المترتب على ذلك، جاء في تاريخ الطبري: (اجتمع إلى علي بعد مَا دخل طَلْحَةُ وَالزُّبَيْر فِي عدة من الصحابة، فَقَالُوا: يَا علي، إنا قَدِ اشترطنا إقامة الحدود، وإن هَؤُلاءِ القوم قَدِ اشتركوا فِي دم هَذَا الرجل وأحلوا بأنفسهم فَقَالَ لَهُمْ: يَا إخوتاه، إني لست أجهل مَا تعلمون، ولكن كيف أصنع بقوم يملكوننا وَلا نملكهم! ها هم هَؤُلاءِ قَدْ ثارت معهم عبدانكم، وثابت إليهم أعرابكم، وهم خلالكم يسومونكم مَا شاءوا، فهل ترون موضعا لقدرة عَلَى شَيْء مما تريدون؟ قَالُوا: لا، قَالَ: فلا وَاللهِ لا أَرَى إلا رأيا ترونه إِنْ شَاءَ اللهُ، إن هَذَا الأمر أمر جاهلية، وإن

---

(١) رواه مسلم (ج١) (ص٣٦) رقم (٨) تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي طبع: دار إحياء التراث العربي – بيروت.





لهـؤلاء القـوم مـادة، وَذَلِكَ أن الشَّـيْطَان لم يشرع شريعـة قط فيبرح الأرض من أخذ بِهَا أبدًا.

إن النـاس من هَذَا الأمر إن حرك عَلَى أمور: فرقة ترى مَا ترون، وفرقة ترى مَا لا ترون، وفرقة لا ترى هَذَا وَلا هَذَا حَتَّى يهدأ الناس وتقع القلوب مواقعها وتؤخذ الحقوق)[١].

وهكذا كان موقف بعض الصحابة، ومنهم ابن عمر وابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ مـن بعض طوائف الخـوارج حين ظهرت، واسـتولتْ على مكة أو المدينة، روى ابن أبي زمنين في كتاب أصول السـنة عَنْ سَوَّارَ بْنِ شَـبِيبٍ قَـالَ: حَجَّ نَجْدَةُ الْحَـرُورِيُّ فِي أَصْحَابِهِ فَـوَادَعَ اِبْنَ اَلزُّبَيْرِ فَصَـلَّى هَذَا بِالنَّـاسِ يَوْمًا وَلَيْلَةٍ، وَهَذَا بِالنَّاسِ يَوْمًـا وَلَيْلَةً، فَصَلَّى اِبْنُ عُمَـرَ خَلْفَهُمَا فَاعْتَرَضَهُ رَجُلٌ، فَقَالَ: يَـا أَبَا عَبْد الرَّحْمَنِ أَتُصَلِّي خَلْفَ نَجْدَةَ الْحَرُورِيِّ؟ فَقَالَ اِبْنُ عُمَرَ: إذا نَادَوْا حَيَّ عَلَى خَيْرِ اَلْعَمَلِ أَجَبْنَا، وَإذا نَادَوْا حَيَّ عَلَى قَتْلِ نَفْسٍ قُلْنَا: لَا، وَرَفَعَ بِهَا صَوْتَهُ)[٢].

---

(١) تأريـخ الأمـم والملـوك طبع دار الـتراث - بـيروت الطبعة: الثانيـة - ١٣٨٧هـ (٤/ ٤٣٧).

(٢) أصول السنة لابن أبي زمنين (ص٢٨٣) تحقيق وتخريج وتعليق: عبد الله بن محمد عبد الرحيم بن حسـين البخاري - طبع: مكتبـة الغرباء الأثرية، المدينة النبوية - المملكة العربية السعودية - الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ بواسطة المكتبة الشاملة.







فانظـر إلى موقـف ابن الزبـير من هؤلاء المبتدعـة كيف رضي أن يتقاسـم معهـم الإمامـة، وموقـف ابـن عمـر كيـف رضي بالصلاة خلفهم وكيف رد على من أنكر عليه ذلك، وعلى ذلك قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (فَإذا تَعَذَّرَ إقَامَةُ الْوَاجِبَاتِ مِنْ الْعِلْمِ وَالْجِهَادِ وَغَيْرِ ذَلِكَ إلَّا بِمَـنْ فِيهِ بِدْعَةٌ مَضَرَّتُهَا دُونَ مَضَرَّةِ تَـرْكِ ذَلِكَ الْوَاجِبِ: كَانَ تَحْصِيلُ مَصْلَحَةِ الْوَاجِبِ مَعَ مَفْسَـدَةٍ مَرْجُوحَةٍ مَعَهُ خَيْرًا مِنْ الْعَكْسِ. وَلِهَذَا كَانَ الْكَلَامُ فِي هَذِهِ الْمَسَائِلِ فِيهِ تَفْصِيلٌ)[(١)].

وحينما كانت الجهمية غالبة على خراسان وأهل السنة قلة ضعيفة هناك وجه الإمام أحمد بن حَنْبَل رَحِمَهُ ٱللَّهُ أهل السـنة بعدم هجرهم أو اتخاذ موقف ظاهر منهم؛ لأن ضرر ذلك سيعود على أهل السنة، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَمَا أَمَرَ بِهِ مِنْ هَجْرِ التَّرْكِ وَالِانْتِهَاءِ وَهَجْـرِ الْعُقُوبَةِ وَالتَّعْزِيرِ إنَّمَا هُوَ إذا لَمْ يَكُنْ فِيهِ مَصْلَحَةٌ دِينِيَّةٌ رَاجِحَةٌ عَـلَى فِعْلِهِ وَإِلَّا فَإِذا كَانَ فِي السَّـيِّئَةِ حَسَـنَةٌ رَاجِحَةٌ لَمْ تَكُنْ سَـيِّئَةً وَإِذا كَانَ فِي الْعُقُوبَةِ مَفْسَدَةٌ رَاجِحَةٌ عَلَى الْجَرِيمَةِ لَمْ تَكُنْ حَسَنَةً؛ بَلْ تَكُونُ سَيِّئَةً، وَإِنْ كَانَتْ مُكَافِئَةً لَمْ تَكُنْ حَسَنَةً وَلَا سَيِّئَةً، فَالْهِجْرَانُ قَدْ يَكُونُ مَقْصُـودُهُ تَرْكَ سَـيِّئَةِ الْبِدْعَةِ الَّتِي هِيَ ظُلْمٌ وَذَنْبٌ وَإِثْمٌ وَفَسَـادٌ، وَقَدْ

(١) مجموع الفتاوى (٢٨/ ٢١٢).





يَكُونُ مَقْصُودُهُ فِعْلَ حَسَنَةِ الْجِهَادِ وَالنَّهْيَ عَنْ الْمُنْكَرِ وَعُقُوبَةَ الظَّالِمِينَ لِيَنْزَجِرُوا وَيَرْتَدِعُوا، وَلِيَقْوَى الْإِيمَانُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ عِنْدَ أَهْلِهِ. فَإِنَّ عُقُوبَةَ الظَّالِمِ تَمْنَعُ النُّفُوسَ عَنْ ظُلْمِهِ وَتَحُضُّهَا عَلَى فِعْلٍ ضِدِّ ظُلْمِهِ: مِنْ الْإِيمَانِ وَالسُّنَّةِ وَنَحْوِ ذَلِكَ.

فَإِذَا لَمْ يَكُنْ فِي هِجْرَانِهِ انْزِجَارُ أَحَدٍ وَلَا انْتِهَاءُ أَحَدٍ؛ بَلْ بُطْلَانُ كَثِيرٍ مِنْ الْحَسَنَاتِ الْمَأْمُورِ بِهَا لَمْ تَكُنْ هِجْرَةً مَأْمُورًا بِهَا كَمَا ذَكَرَهُ أَحْمَد عَنْ أَهْلِ خُرَاسَانَ إذْ ذَاكَ: أَنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا يَقْوَوْنَ بِالْجَهْمِيَّةِ. فَإِذَا عَجَزُوا عَنْ إظْهَارِ الْعَدَاوَةِ لَهُمْ سَقَطَ الْأَمْرُ بِفِعْلِ هَذِهِ الْحَسَنَةِ، وَكَانَ مُدَارَاتُهُمْ فِيهِ دَفْعَ الضَّرَرِ عَنْ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَلَعَلَّهُ أَنْ يَكُونَ فِيهِ تَأْلِيفُ الْفَاجِرِ الْقَوِيِّ.

وَكَذَلِكَ لَمَّا كَثُرَ الْقَدَرُ فِي أَهْلِ الْبَصْرَةِ فَلَوْ تُرِكَ رِوَايَةُ الْحَدِيثِ عَنْهُمْ لَا نْدَرَسَ الْعِلْمُ وَالسُّنَنُ وَالْآثَارُ الْمَحْفُوظَةُ فِيهِمْ. فَإِذَا تَعَذَّرَ إقَامَةُ الْوَاجِبَاتِ مِنَ الْعِلْمِ وَالْجِهَادِ وَغَيْرِ ذَلِكَ إلَّا بِمَنْ فِيهِ بِدْعَةٌ مَضَرَّتُهَا دُونَ مَضَرَّةِ تَرْكِ ذَلِكَ الْوَاجِبِ: كَانَ تَحْصِيلُ مَصْلَحَةِ الْوَاجِبِ مَعَ مَفْسَدَةٍ مَرْجُوحَةٍ مَعَهُ خَيْرًا مِنْ الْعَكْسِ، وَلِهَذَا كَانَ الْكَلَامُ فِيْ هَذِهِ الْمَسَائِلِ فِيهِ تَفْصِيلٌ)[١].

(١) مجموع الفتاوى (٢٨/ ٢١٢-٢١٣).







فهذه النماذج وغيرها كافية لإثبات قاعدة التفريق بين موقف أهل السنة من خصومهم في وقت القوة ووقت الضعف، وقد نهى النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن تقطع الأيدي في الغزو، فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَا تُقْطَعُ الْأَيْدِي فِي الْغَزْوِ**»[(١)].

فإذا أجلت الحدود وهي مصلحة كبرى ومقصد عظيم من مقاصد الإسلام؛ درءًا لما قد يترتب على تنفيذها من المفاسد التي هي أعظم من تعطيلها أو تأجيلها، فما بالك بما هو دون الحدود.

وليس معنى ذلك أن نتجنب منهج السلف في معاملتهم لأهل البدع الكبرى والدعاة إليها وإلى كل ما يفسد عقائد المسلمين، ولكن علينا أن نأخذ بشِقَّي المنهج ونجمع بين التنظير والتطبيق حتى لا نفتئت عليهم بإبراز جانب الشدة وإخفاء جانب الرفق واللين أو العكس، وبهذا يظهر أن ذلك المسلك واسع ومتنوع فجانب الشدة وقاية وعلاج، فإن ترتب عليه ما يرجى من العلاج والوقاية

---

(١) أخرجه أحمد (٢٩/ ١٦٨ برقم ١٧٦٢٦)، والترمذي، كتاب الحدود، باب: ما جاء أن لا تقطع الأيدي في الغزو(٤/ ٥٣ برقم١٤٥٠)، والدارمي (٣/ ١٦١٨ برقم ٢٥٣٤)، والطبراني في المعجم الأوسط (٩/ ٦ برقم ٨٩٥١)، عن بسر بن أبي أرطاة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وصححه الألباني في تخريج مشكاة المصابيح (٢/ ١٠٦٨ برقم ٣٦٠١).



والمصلحة الراجحة فعلناه وإن ترتب عليه مفسدة أو مفاسد وسعنا تركه، والعمل بالمسلك الآخر للسلف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ من الإعراض عن أولئك المبتدعة أو ملاطفتهم إنْ دعت الضرورة إلى ذلك وفي كل ذلك لنا أسوة حسنة في رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وفي صحابته وأئمة السلف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

الحقيقة السادسة: الخلاف في المسائل الاجتهادية لا يوجب زجرًا يؤدي إلى النزاع والتفرق:

الخلاف في المسائل الاجتهادية وهي: -ما ليس فيها نص صحيح صريح ولا إجماع معتبر ثابت ولا قياس جلي سالم من القدح المخالف فيها لا يعدُّ مخالفًا بالمعنى الذي عنيناه آنفًا ولا مبتدعًا، وقد صرَّح العلماء أنه لا إنكار في هذه المسائل.

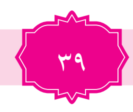
وقال ابن قدامة المقدسي رَحِمَهُ اللَّهُ: (لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ أَنْ يُنْكِرَ عَلَى غَيْرِهِ الْعَمَلَ بِمَذْهَبِهِ؛ فَإِنَّهُ لَا إنْكَارَ عَلَى الْمُجْتَهَدَاتِ)(١).

وقال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: (لَيسَ لِلْمُفْتِي وَلَا لِلْقَاضِي أَنْ يَعْتَرِضَ عَلَى مَنْ خَالَفَهُ إذا لَمْ يُخَالِفْ نَصًّا أَوْ إجماعًا أو قياسًا جَلِيًّا)(٢).

(١) الآداب الشرعية والمنح المرعية، ابن مفلح (١/ ١٨٦).

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم (٢/ ٢٤).

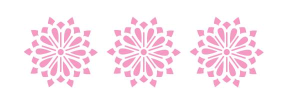




وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «... إنَّ مِثْلَ هَذِهِ الْمَسَائِلِ الِاجْتِهَادِيَّـةِ لَا تُنْكَـرُ بِالْيَدِ وَلَيْسَ لِأَحَدٍ أَنْ يُلْـزِمَ النَّاسَ بِاتِّبَاعِهِ فِيهَا؛ وَلَكِـنْ يَتَكَلَّمُ فِيهَا بِالْحُجَجِ الْعِلْمِيَّةِ فَمَـنْ تَبَيَّنَ لَهُ صِحَّةُ أَحَدِ الْقَوْلَيْنِ تَبِعَهُ وَمَنْ قَلَّدَ أَهْلَ الْقَوْلِ الْآخَرِ فَلَا إنْكَارَ عَلَيْهِ»[(١)].

وقـد شرح رَحِمَهُ ٱللَّهُ وفصل وأبان عـذر الأئمة في مخالفتهم لبعض النصوص في كتابه الشهير (رفع الملام عن الأئمة الأعلام).

في هـذا المنهـج الذي تـوارد عليه الأئمة، دلالـة واضحة على أن المخالف في المسائل الاجتهادية لا يخرج عن إطار أهل السنة المحضة.



(١) مجموع الفتاوى، ابن تيمية (٣٠/ ٨٠).



لماذا نخرج الرافضة
من مسعانا لتوحيد المواقف؟

نعم وبلا تردد أو مجاملة نخرج الرافضة ولا يمكن أن نثق بهم ولا يمكن بعدما جربناه من غدرهم وخيانتهم أن نركن إليهم أو نعتمد عليهم في تحقيق مصلحة للأمة أو دفع مفسدة عنها.

فقياداتهم العلمية والفكرية والسياسية وسائر أئمتهم منافقون، يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم، فحق لنا أن ننزل عليهم قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ [المنافقون:٤].

هذه حقيقتهم وهي تشمل جملة أئمتهم الا ما ندر والنادر لا حكم له، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (ثم إن هؤلاء يخونون ولاة أمور المسلمين في الجهاد وحفظ البلاد، وهم أعداؤهم عداوةً دينية؛ إذ كانوا يعادون خيار الأمة، وخيارَ ولاة أمورها الخلفاء الراشدين، والسابقين الأولين من المهاجرين والأنصار.





والذي ابتدع الرَّفْض كان منافقًا زنديقًا أظهر موالاة أهل البيت ليتوسل بذلك إلى إفساد دين الإسلام كما فعل بولص مع النصارى، ولهذا كانت الرافضة ملجأً لعامَّة الزنادقة القرامطة والإسماعيلية والنصيرية ونحوهم.

فلا يصلح لولاة الأمور أن يولّوهم على المسلمين ولا استخدامهم في عَسْكر المسلمين بل إذا استبدل بهم من هو من أهل السنة والجماعة كان أصلح للمسلمين في دينهم ودنياهم.

وإذا أظهروا التوبة والبراءة من الرفض لم يوثق بمجرَّد ذلك بل يُحْتاطُ في أمرهم فيفرّق جموعهم ويُسَكَّنُونَ في مواضع متفرقة بين أهل السنة بحيث لو أظهروا ما في أنفسهم عُرِفوا فلا يتمكنون من التعاون على الإثم والعدوان. فإنهم إذا كان لهم قوَّة وعدد في مكان كانوا عدوًّا للمسلمين مجتمعين يعادونهم أعظم من عداوة التتر بكثير.

ولهذا يخبر أهل الشرق القادمون من تلك البلاد: أن الرافضة أضرّ على المسلمين من التتر وقد أفسدوا مَلِك التتر وميَّلوه إليهم وهم يختارون دولته وظهوره فكيف يجوز أن يكون في عسكر المسلمين من هو أشدّ عداوةً وضررًا على المسلمين من التتر؟!

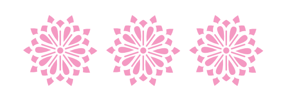






والتتريُّ إذا عَرَف الإسلام ودُعي إليه أحبّه واستجاب إليه، إذ ليس له دين يقاتل عليه ينافي الإسلام، وإنما يقاتل على الملك.

وأما الرافضة فإن من دينهم السعي في إفساد جماعة المسلمين وولاة أمورهم ومعاونة الكفار عليهم؛ لأنهم يرون أهل السنة والجماعة كفارًا مرتدِّين، والكافر المرتدّ أسوأ حالًا من الكافر الأصلي، ولأنهم يرجون في دولة الكفار ظهورَ كلمتهم وقيام دعوتهم ما لا يرجونه في دولة المسلمين، فهم أبدًا يختارون ظهور كلمة الكفار على كلمة أهل السنة والجماعة، كما قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الخوارج: «**يقتلون أهل الإسلام ويَدَعونَ أهلَ الأوثان**»[1])[2].



(١) أخرجه البخاري في كتاب الأنبياء، باب قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهۡلِكُواْ بِرِيحٖ صَرۡصَرٍ عَاتِيَةٖ﴾ (الحاقة:٦) برقم (٣٣٤٤)، ومسلم كتاب الزكاة باب ذكر الخوارج وصفاتهم برقم (١٠٦٤).

(٢) جامع المسائل المجموعة السابعة (١/ ٢٠٩-٢١٠).







مَنْ يخرجون من دائرة أهل السنة إضافة إلى الرافضة؟

ويخرج عن دائرة أهل السنة إضافة إلى الرافضة، في وضعنا هذا وما ندعو إليه الخوارج السابقون كما يخرج الخوارج المعاصرون وهم: الخارجون على جماعة المسلمين وإمامهم والمتوسِّعون في استحلال الدماء؛ فإنهم لا يرجى خيرهم ولا يُؤْمَنُ شرُّهم وهم وإنْ كانوا يدّعون أنهم أهل سنة وأنهم سلفيون، إلا أنهم ليسوا من السنة ولا السلفية في شيء - بل إن مواقفهم أكثر انسجامًا مع الرافضة منها مع أهل السنة.

فالخوارج أعداء أهل السنة يستبيحون دماءهم وأموالهم في القديم والحديث، وقد ذكر الإمام الذهبي في السير في ترجمة الفقيه: العباس بن عيسى الممسي أن الخوارج في المغرب العربي قاموا بثورة على الدولة العبيدية ورأى أهل السنة أن الخوارج أقرب إليهم من العبيديين فانضمَّ أهل السنة إلى الخوارج يقاتلون العبيديين معهم، وفي النهاية غدر الخوارج بأهل السنة، فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (خَرَجَ مَخْلَد الزَّنَاتِي المَذْكُوْر صَاحِبُ الحِمَارَة وَكَانَ زَاهِدًا فتحرَّك لقيامِهِ كُلُّ





أَحَـد فَفَتَحَ البِـلادَ وَأَخذَ مَدِيْنَة القَـيْرَوَان لَكِنْ عَمِلَـت الخَوَارِجُ كُلّ قَبيـحٍ، حَتَّى أَتَى العُلَمَاءُ أَبَا يَزِيْدَ يَعيبُـوْنَ عَلَيْهِ فَقَالَ: نَهْبُكُم حلاَلٌ لَنَا فلاَطَفُوهُ حَتَّى أَمرَهُم بِالكَفِّ وَتَحَصَّنَ العُبَيْديُّ بِالمهديَّةِ.

وَقِيْلَ: إِنَّ أَبَا يَزِيدَ لَمَّا أَيقنَ بِالظُّهور، غَلَبَتْ عَلَيْهِ نَفْسُه الخَارجيَّة، وَقَـالَ لأُمرَائِـه: إذا لقِيتُم العُبَيْدِيَّـة، فَانهزِمُوا عَـنِ القَيْرَوَانيين، حَتَّى ينَالَ مِنْهُم عدوُّهُم، فَفَعَلُوا ذَلِكَ، فَاسْتُشْـهِدَ خَلْقٌ، وَذَلِكَ سنَة نَيِّفٍ وَثَلاَثِيْنَ وَثَلاَثِ مائَةٍ.

فَالخَـوَارِجُ أَعدَاءُ الْمُسْـلِمِيْنَ، وَأَمَّـا العُبَيْدِيَّة البَاطنيَـة، فَأَعداءُ اللهِ وَرَسُولِه)[١].

هذا نموذج من غدر الخوارج في القديم، وأما غدرهم بإخوانهم ولاسيما المجاهدين الصادقين منهم في العصر الحاضر، فأشهر من أنْ يدلَّل عليـه. فأفعال جماعات العنف، وحربهـم للدعاة و المجاهدين الصادقين في سوريا وغيرها معلومة موثقة.

ويخرج عن أهل السنة كذلك: أصحاب البدع المكفِّرة كالقائلين بالحلول والاتحاد من الصوفية الغالية.

---

(١) سير أعلام النبلاء (١٥/ ٣٧٣).





كما يخرج من واجب توحيد المواقف من عرف بموالاته الظاهرة لأعداء الله وخيانته للمسلمين، فإنه لا يركن إليه ولا يعتمد عليه، فلا ينبغي أنْ يشوِّهَ أهل السنة بنسبته إليهم، فمن ظهر منه ذلك نوبذ منابذة ظاهرة ومن أخفاه حتى التبس أمره عومل معاملة المنافقين الذين كانوا على عهد الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقد كان يعاملهم في الظاهر معاملة المسلمين ويَكِلُ سرائرهم إلى الله ويحذَرُهم كما أمره الله عَزَّوَجَلَّ.

ويلزمُ جماعةَ المسلمين الحذرُ من هؤلاء كما حذَّر منهم القرآن قال تعالى: ﴿ هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۖ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ [المنافقون:٤].

وما عدا هؤلاء هم أهل السنة بالمعنى الواسع هم الأمة الواحدة التي يلزم كل مسلم أن يصدق في الانتماء إليها، ويجب على كل محب للإسلام وأهله أن يحبها ويغار عليها ويدنيها ولا يبعد فئةً من فئاتها ولا يدفع بأحد من أبنائها لينحاز إلى أعدائها.

نعم هي أمة الإسلام الواحدة بجميع فئاتها ومذاهبها وجماعاتها وعلمائها وحكامها وأفرادها.

هذا من حيث الجملة، وأما من حيث النظر إلى كل فئة أوكل فرد فإنما تكون محبتهم وموالاتهم بقدر ما هم عليه من الاستقامة على



السنة ومتابعة الصحابة الكرام والتابعين لهم بإحسان ومن سلك سبيلهم ولزوم الطاعة ومجانبة المعصية.

وكثيرًا ماكنا نسمع ونقرأ عن الدول السُّنِّية والغزنويِّين والسلاجقة والزنكيين والأيوبيين والمماليك والعثمانيين التي كانت توصف بأنها دول سنِّيَّةٌ مع أنَّ العلماء ذوي الكلمة النافذة عند حكامها وقادة الفكر فيها هم في الغالب أشاعرة أو ما تريدية وفيهم تصوُّف وقد صَبَغُوا تلك الدول بصبغتهم، ومع ذلك نجد مؤرِّخي أهل السنة يفاخرون بتلك الدول ويُكْثِرُوْنَ من الثناء عليها ويُعَدِّدُوْنَ مناقبَها وهذا تجدُه بكثرة عند شيخ الإسلام ابن تيمية في مواضع من كتبه وفتاواه[١]، كما نجده عند ابْنِ كثيرٍ.

ومازال هذا دأب العلماء والمؤرِّخين إلى هذا العصر، وذلك أن هذه الدول كانت تمثل أهل السنة في مواجهة الصليبيين والدول الرافضية كالبويهية والفاطمية والقرامطة والصفويين.

وكذلك المذاهب، فمذاهب أهل السنة من الحنفية والمالكية والشافعية والحنابلة، مع أنَّ كثيرًا من أتباعها ما بين أشعرية

(١) انظر مجموع الفتاوى (١٩/ ١٥٦).

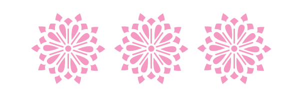




وماتريدية وحنبلية -اعتقادًا-، كلها يقال لها: مذاهب أهل السنة في مقابل مذاهب الشيعة المختلفة.

وفي أفراد العلماء كذلك ينسب لأهل السنة كُلُّ مَنْ كان مجانبًا للرفض وأهله خصوصًا إذا كان له جهود في مواجهة الرافضة، وكذا من اشتهر بالعلم والخير مِمَّنْ جانب المبتدعة المشار إليهم آنفًا ولمْ يتمسَّكْ بأصلٍ من أصولهم.

وكل هؤلاء الذين سمَّيناهم أهل السنة بالمعنى الواسع لهذا المصطلح من علماء وحكام وعامة يجب عليهم أنْ يوحِّدوا مواقفهم في هذه الظروف التي اجتمعت فيها طوائف الكفر والرفض والنفاق على اختلاف نِحَلِها ودولها اجتمعوا على محاربة أهل السنة.







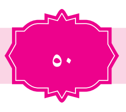
المبحث الثاني

فرق الشيعة برغم تباينهم يتوحَّدون على محاربة أهل السنة

على رغم ما بين فرق الشيعة ومذاهبها من الخلاف والتباين وتكفير بعضهم بعضًا نجدهم يتوحدون على محاربة أهل السنة، والواقع خير شاهد، فالهدف الكبير الذي وضعته ثورة الخمينيّ هو هيمنة الرفض على العالم الإسلاميّ، وكأنه يريد أن يعيد ما كان للرافضة من تسلط وهيمنة على العالم الإسلامي خلال القرن الرابع الهجري، فقد عم فيه شرهم وطم، وفي تصوير ذلك يقول الإمام ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ متحدثًا عن ذلك التسلط الخبيث: (وقد امتلأت البلاد رفضًا وسبًّا للصحابة من بني بويه وبني حمدان والفاطميين، وكل ملوك البلاد مصرًا وشامًا وعراقًا وخراسان وغير ذلك من البلاد كانوا رفضًا وكذلك الحجاز وغيره وغالب بلاد المغرب، فكثر السب والتكفير منهم للصحابة)[(١)].

(١) البداية (١١/ ٢٣٣) سنة ٣٤٦.





ويقـول الإمـام الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ متبرمًا متشـكيًا من ذلـك الواقع الأليـم: (قُلْتُ: فنحمَدُ اللهَ عَلَى العَافيَةِ، فَلَقَدْ جَرَى عَلَى الإسـلاَمِ فِي المائَةِ الرَّابِعَةِ بلاَءٌ شَـدِيدٌ بِالدَّوْلَةِ العُبَيْدِيَّـةِ بِالمَغْرِبِ وَبَالدَّوْلَةِ البُوَيْهِيَّةِ بِالمَشْرِقِ وَبَالأَعْرَابِ القَرَامطَةِ، فَالأَمرُ للهِ تعالى)[١].

وكـما فعـل الصفويون في القرن العاشر الهجـري، ولأنَّ مذاهب الشـيعة مذاهب سياسـية قبل أن تكـون دينية قائمة عـلى توحيد الله واتباع رسـوله، فالإمامة عنـد أكثرهم مقدَّمة على ركنَي الشـهادتين والصـلاة[٢]، فقـد وحَّدهـم هاجـس التسـلط أو الهـدف السـياسي (المقدس عندهم)، فجمعوا كيدهم ثم جاؤوْا صفًّا على منهج فرعون في محاربتـه لموسـى وهـارون وقومهما ووحَّـدوا جبهتـم التي جمعت بعـض الزيدية مع الاثني عشرية مع الباطنية بأجنحتها الإسـماعيلية والنصيرية، توحدوا سياسيًّا رغم تباينهم العقدي الصارخ، فالزيدية تكفِّـر الاثني عشريـة والاثنا عشرية تكفِّر الزيديـة وكلاهما يكفِّران الإسماعيلية والنصيرية، وهذه أقوالهم من كتبهم:

---

(١) سير أعلام النبلاء طبع الرسالة (١٦/ ٢٥٢).

(٢) انظـر: مـرآة العقـول (٧/ ١١٦) دار الكتب الإسـلامية – طهـران والكافي على هامش مرآة العقول (٧/ ١١٦) وكذلك الكافي طبعة التعارف (٢/ ٢٦) وبحار الأنوار (٨/ ٣٦٨/ ٣٦٩).



أولًا: حكم الاثني عشرية على من سواهم من فرق الشيعة:

قال قائلهم وهو يعدِّد أقسام الشيعة: «الشيعة على سبعة أقسام»، ثم قال مُبيِّنًا الحكم فيهم: (ولا يجوز تزويج المؤمنة بواحد من هؤلاء الفرق سوى الإمامية الاثنا عشرية؛ لأن من عداهم كفار مشركون زنادقة شر من النُّصَّاب كما دلت عليه روايات)[(١)].

ثانيًا: تكفير الزيدية للاثني عشرية:

قال يحيى بن الحسين مؤسِّس المذهب الهادوي في اليمن وهو يتحدَّث عن الاثني عشرية: (وقول هذا الحزب الضال مما لا يلتفت إليه من المقال؛ لما هُمْ عليه من الكفر والإيغال... الخ)[(٢)].

ثالثًا: تكفير الاثني عشرية للزيدية:

ويدل عليه قول المجلسي: (كتب أخبارنا مشحونة بالأخبار الدالَّة على كفر الزيدية وأمثالهم من الفطحية[(٣)] والواقفة وغيرهم

---

(١) الرسائل الفقهية - الخواجوئي (٢/ ١١٣-١١٤).

(٢) الأحكام في الحلال والحرام (١/ ٤٤٥-٤٥٥).

(٣) الفطحية فرقة شيعية تنسب إلى عبد الله بجعفر الصادق الملقب بالأفطح انظر: مجمع البحرين للطريحي (٢/ ٤٠٠).

من الفرق المضلة المبتدعة، وسيأتي الرَّدُّ عليهم في أبواب أحوال الأئمة عَلَيْهِمُ السَّلَامُ)[١].

رابعًا: تكفير الزيدية للإسماعيلية:

قال أحمد بن سليمان: (أما الفصل الثاني وهو الإبانة عن كفرهم، فالذي يدلُّ علي ذلك إجماع المسلمين فلا يعرف عن أحد من أرباب المذاهب وعلماء الإسلام أنه توقف عن تكفيرهم ولاشك في إلحادهم وزندقتهم)[٢].

وكفّرَهم كذلك عبد الله بن حمزة[٣].

خامسًا: تكفير الاثني عشرية للنصيرية:

نقل الميرزا النوري عن بعض معاصريه قوله:

(قال السبحاني التبريزي مكفِّرًا النصيرية: (وأمّا النصيرية -أعني- أصحاب محمد بن نصير الفهري، فهم من الغلاة الذين لا يمتّون إلى الإسلام والتشيع بصلة، ظهرت في عصر الإمام الهادي عَلَيْهِ السَّلَامُ وهم أصحاب محمد بن نصير النميريّ)[٤].

---

(١) بحار الأنوار (ص٣٧) (ج٣٤).

(٢) الرسالة المتوكلية في هتك أستار الإسماعيلية مخطوط (ص٦).

(٣) ينظر: المجموع المنصوري (١/ ٣١١).

(٤) بحوث في الملل والنحل، السبحاني التبريزي (ص١٧٨٠).





سادسًا: تكفير الإثني عشرية للإسماعيلية:

قال الميرزا النوري: عن الإسماعيلية: (ثم إن الظاهر من كتب المقالات أن الإسماعيلية كلهم منكرون للشرائع، تاركون للفرائض، مستبيحون للمحارم، ولذا يذكرون -إذا بلغوا إلى شرح حالهم- أنهم لقبوا بسبعة ألقاب، منها الباطنية بالمعنى الذي أشرنا إليه، صرح بذلك السيد المرتضى الرازي في تبصرة العوام، وغيره. ووافقنا على ذلك السيد الفاضل المعاصر رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الروضات، في ترجمة جلال الرومي حيث قال: الإسماعيلية وإن كانوا في ظاهر دعاواهم الكاذبة، من جملة فرق الشيعة المنكرين لخلافة غير أمير المؤمنين عليه السلام، إلا أن الغالب عليهم الإلحاد، والزندقة، والمروق عن الدين، والخروج عن دائرة الموحدين، والمِلِّيين، وأتباع النبيين)[١] انتهى.

هذا حال الشيعة وهذا حكم بعضهم على بعض ومع ذلك جمعتهم أهدافهم السياسية والسعي إلى السلطة والتحكم في مصير

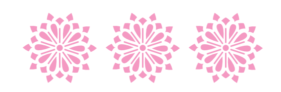
---

(١) خاتمة المستدرك - الميرزا النوري (١/ ١٣٩-١٤٠) بواسطة مقال في شبكة الدفاع عن السنة.



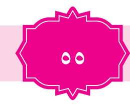


الأمة والاستحواذ على مصالحها وأنْ يتحوَّلوا من أقلية هامشية فيها إلى قـوة مهيمنة عليهـا، فرصوا صفوفهم وجمعـوا كلمتهم ووحدوا مواقفهم، بل بذل كل منهم كل إمكانياته لإنجاح هذا الهدف.









المبحث الثالث

واجب أهل السنة إزاء اصطفاف أهل الكفر والنفاق لمحاربتهم

أهل السـنة -والحمد لله- أمة واحدة شـعارهم السـنة والجماعة هم أهل السنة لاتباعهم لها وأهل الجماعة لاجتماعهم عليها، ودينهم مبنـيٌّ على كلمـة التوحيد التي عليها يقوم الديـن ويتوحَّد المؤمنون، فمتـى أقاموا أصل التوحيد واسـتقاموا عليه تحقَّقَ لهم الأصل الثاني وهو توحيد الكلمة الذي به يُحْمَى الدِّيْنُ ويعزُّ المؤمنون.

لا يقـول أحد من علمائهـم المعتبرين بتكفير مـن خالفه مادام في الإطار الواسـع لأهل السـنة ولا بإسـقاط حقوق الإسلام عنه، لهذا كله يجب على أهل السنة أن يتعاونوا فيما بينهم على البر والتقوى وأنْ يوحِّدوا مواقفهم وأنْ يُوَالِيَ بعضُهم بعضًا وينصرَ بعضُهم بعضًا وأنْ يوفِّروا الأسباب التي تمكِّنهم من ذلك.

وحينـما بـيَّن القرآن مـا يجب أن يكـون عليـه المؤمنون مـن تَوَلِّيْ بعضِهم بعضًا، ومناصرةِ بعضِهم بعضًا، في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ





ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖ﴾ [الأنفال:٧٢].

وبين ما عليه الكفار من موالاة بعضهم بعضًا إذا كانوا في مواجهة المسلمين أهل الحق أهل السنة -كما هو مشاهد اليوم-، بقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٍ﴾ [الأنفال:٧٣].

وبعدما أثبت الله هذه الحقائق الشرعية، والسنن الكونية، قال سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ: ﴿إِلَّا تَفۡعَلُوهُ تَكُن فِتۡنَةٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَفَسَادٞ كَبِيرٞ﴾ [الأنفال:٧٣].

إذن: إذا لم تُقِمِ الأمة أصل الولاء كاملًا كما حدَّده الله بقوله: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمۡ رَٰكِعُونَ ٥٥ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ﴾ [المائدة:٥٥-٥٦].

كما أنَّ عدوَّهم سواءً كان من كفار أهل الكتاب أو غيرهم أو من المنافقين والرافضة قد أقاموا بينهم هذا الأصل فوالى بعضهم بعضًا لحرب المؤمنين أهل الدين الحق أهل السنة والجماعة.



إذا لم يُقِمْ أهلُ السنة كل أهل السنة هذا الأصل بحيث يصبحون قـوة واحدة متينة ضاربة فستقع الفتنة والفساد الكبير من اجتياح أهل الباطـل لأهل الحق بالفتنة وهي خلـط المفاهيم وتبديل حقائق الدين ونشر العقائد الباطلة والثقافات السـافلة والسلوك المنحط في أوساط المسلمين واسـتباحة بيضة المسلمين تقتيلًا وتشريدًا واعتداءً عـلى كرامتهم وإهلاكًا لحرثهم ونسـلهم، وهذا قد وقع منه مالا يعد ولا يحصى في أماكن مختلفة من ديار المسلمين.

قال الشيخ محمد جمال الدين القاسمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقولـه تعـالى: ﴿إِلَّا تَفۡعَلُوهُ تَكُن فِتۡنَةٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَفَسَادٞ كَبِيرٞ ﴾ [الأنفال:٧٣] أي: إلا تفعلـوا مـا أمرتكم بـه من التواصل وتولِّي بعضكـم بعضًا ومن قطع العلائق بينكـم وبين الكفار تحصل فتنـة في الأرض ومفسـدة عظيمـة؛ لأن المسـلمين ما لم يصـيروا يدًا واحدة على الشرك كان الشرك ظاهرا والفسـاد زائداً في الاعتقادات والأعمال)[١].

وقال الشيخ محمد رشيد رضا رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعد مناقشةٍ لبعض الأقوال المتعلقة بتفسـير الآية: (وأَقُولُ: الْأَظْهَرُ أَنَّ الْفِتْنَةَ فِي الْأَرْضِ مَا ذَكَرْنَا

(١) بحوث في الملل والنحل، السبحاني التبريزي (ص١٧٨٠).



مِنِ اضْطِهَادِهِمُ الْمُسْلِمِينَ وَصَدِّهِمْ عَنْ دِينِهِمْ -كَمَا يَدُلُّ عَلَيْهِ مَا سَبَقَ فِي هَذِهِ السُّورَةِ- وَفِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ وَهِيَ مِنْ لَوَازِمَ قُوَّةِ الْكُفْرِ وَسُلْطَانِ أَهْلِهِ الَّذِي كَانُوا عَلَيْهِ وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ يَدَّعُونَ حُرِّيَّةَ الدِّينِ مِنْهُمْ فِي هَذَا الْعَصْرِ يَفْتِنُونَ الْمُسْلِمِينَ عَنْ دِينِهِمْ حَتَّى فِي بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ أَنْفُسِهِمْ بِمَا يُلْقِيهِ دُعَاةُ النَّصْرَانِيَّةِ مِنْهُمْ مِنَ الْمَطَاعِنِ فِيهِ وَفِي الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَبِمَا يُغْرُونَ بِهِ الْفُقَرَاءَ مِنَ الْعَوَامِّ الْجَاهِلِينَ مِنَ الْمَالِ وَأَسْبَابِ الْمَعِيشَةِ كَذَلِكَ الْفَسَادُ الْكَبِيرُ مِنْ لَوَازِمِ ضَعْفِ الْإِسْلَامِ الَّذِي يُوجِبُ عَلَى أَهْلِهِ تَوَلِّي بَعْضِهِمْ لِبَعْضٍ فِي التَّعَاوُنِ وَالنُّصْرَةِ وَعَدَمَ تَوَلِّي غَيْرِهِمْ مِنْ دُونِهِمْ، وَيُوجِبُ عَلَى حُكُومَتِهِ الْقَوِيَّةِ الْعَدْلَ الْمُطْلَقَ وَالْمُسَاوَاةَ فِيهِ بَيْنَ الْمُؤْمِنِ وَالْكَافِرِ وَالْبَرِّ وَالْفَاجِرِ وَالْقَوِيِّ وَالضَّعِيفِ وَالْغَنِيِّ وَالْفَقِيرِ وَالْقَرِيبِ وَالْبَعِيدِ -كَمَا تَقَدَّمَ شَرْحُهُ مِرَارًا- وَالَّذِي يُحَرِّمُ الْخِيَانَةَ وَنَقْضَ الْعُهُودِ حَتَّى مَعَ الْكُفَّارِ كَمَا تَقَدَّمَ فِي هَذِهِ السُّورَةِ أَيْضًا مُفَصَّلًا وَذَكَّرْنَا بِهِ آنِفًا.

وَمَنْ وَقَفَ عَلَى تَارِيخِ الدُّوَلِ الْإِسْلَامِيَّةِ الَّتِي سَقَطَتْ وَبَادَتْ وَالَّتِي ضَعُفَتْ بَعْدَ قُوَّةٍ، يَرَى أَنَّ السَّبَبَ الْأَعْظَمَ لِفَسَادِ أَمْرِهَا تَرْكُ تِلْكَ الْوِلَايَةِ أَوِ اسْتِبْدَالُ غَيْرِهَا بِهَا)[1].

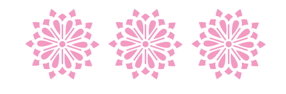
---

(١) تفسير المنار، محمد رشيد رضا (١٠/ ١٠٠).



خلاصة ما تقدم:

والخلاصة أن أعداء الله يتولى بعضهم بعضًا في مواجهة المؤمنين فيشكِّلون قوة عظمى رادعة بل غاشمة ومعتدية، فإن واجهها المسلمون صفًّا واحدًا على كلمة سواء وتعاونٍ وتناصرٍ تامٍّ، بحيث يصبحون قوة حق توازي قوة الباطل والعدوان؛ وإلا فالنتيجة وقوع الفتنة في الدين والأخلاق والهُوية واستعلاء ثقافة الكافرين ومبادئهم على ثقافة المؤمنين ومبادئهم، ويقع الفساد الكبير وهو إفساد الدين وإهلاك الحرث والنسل وإيقاع الذل والهوان بالمسلمين.






المبحث الرابع

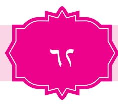
كيف يكون تغيير الحال من الأسوأ إلى الأحسن؟

إن تغيير حال الأمة من الضعف والهوان إلى العزة والكرامة ومن الهزيمة والخذلان إلى النصر والتمكين ومن الفرقة والنزاع إلى الوحدة والألفة والتعاون والتناصر؛ لا يتحقق غالبًا إلا على أصلين مهمَّيْنِ؛ هما:

الأصل الأول: الفرار إلى الله والتضرع بين يديه:

فيجب على الأمة إصلاح ما بينها وبين ربها بالتوبة والرجوع إليه توبة شاملة تعم جميع شرائحها في جميع جوانب حياتها، وعلى رأس ذلك التوحيد والاتباع.

قال الله تعالى: ﴿ قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٤٠﴾ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَآءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ﴿٤١﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَـٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴿٤٢﴾ فَلَوْلَآ



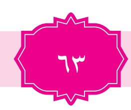
إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُواْ وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ [الأنعام:٤٠-٤٣]، وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٖ سُوٓءٗا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ﴾ [الرعد:١١].

قال الإمام ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (الآية الكريمة آية عظيمة تدل على أن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بكمال عدله وكمال حكمته لا يُغيِّر ما بقوم من خير إلى شر ومن شر إلى خير ومن رخاء إلى شدة ومن شدة إلى رخاء حتى يغيِّروا ما بأنفسهم، فإذا كانوا في صلاح واستقامة وغيَّروا غيَّر الله عليهم بالعقوبات والنكبات والشدائد والجدب والقحط والتفرق وغير هذا من أنواع العقوبات جزاءً وفاقًا، قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحٗا فَلِنَفْسِهِۦۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَاۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٖ لِّلْعَبِيدِ ﴾ [فُصِّلَت:٤٦].

وقد يمهلهم سبحانه ويملي لهم ويستدرجهم لعلهم يرجعون، ثم يؤخذون على حين غرَّة، كما قال سبحانه: ﴿ فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةٗ فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنعام:٤٤].







يعني آيسون من كل خير نعوذ بالله من عذاب الله ونقمته وقد يؤجَّلون إلى يوم القيامة فيكون عذابهم أشد كما قال سبحانه: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [إبراهيم:٤٢].

والمعنى: أنهم يؤجلون ويمهلون إلى ما بعد الموت، فيكون ذلك أعظم في العقوبة وأشد نقمة، وقد يكونون في شرٍّ وبلاء ومعاصٍ ثمَّ يتوبون إلى الله ويرجعون إليه ويندمون ويستقيمون على الطاعة، فيغيِّر الله ما بهم من بؤس وفرقة ومن شدة وفقر إلى رخاء ونعمة واجتماع كلمة وصلاح حال بأسباب أعمالهم الطيبة وتوبتهم إلى الله، وقد جاء في الآية الأخرى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال:٥٣].

فهذه الآية تبيِّنُ لنا أنهم إذا كانوا في نعمة ورخاء وخير ثم غيَّروا بالمعاصي غيَّر عليهم -ولا حول ولا قوة إلا بالله-، وقد يمهلون كما تقدم والعكس كذلك إذا كانوا في سوءٍ ومعاصٍ أو كفر وضلال ثمَّ تابوا وندموا واستقاموا على طاعة الله غيَّر الله حالهم من الحالة السيئة إلى الحالة الحسنة، غيَّر تفرُّقهم إلى اجتماع ووئام، وغيَّر شدَّتهم إلى







نعمة وعافية ورخاء، وغيَّر حالهم من جدب وقحط وقلة مياه ونحو ذلك إلى إنزال الغيث ونبات الأرض وغير ذلك من أنواع الخير)[(١)].

وقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إذا تَبَايَعْتُمْ بِالْعِينَةِ، وَأَخَذْتُمْ أَذْنَابَ الْبَقَرِ، وَرَضِيتُمْ بِالزَّرْعِ، وَتَرَكْتُمُ الْجِهَادَ، سَلَّطَ اللهُ عَلَيْكُمْ ذُلًّا لا يَنْزِعُهُ حَتَّى تَرْجِعُوا إلى دِينِكُمْ**»[(٢)].

يعني إذا فعلتم هذه الأفعال السيئة من الانهماك في الدنيا والتهافت عليها، وتجاوزتم لذلك الحلال إلى الحرام، وحملكم حرصكم على جمع المال على ارتكاب المعصية بالتعامل بالمعاملات المحرَّمة، وانشغلتم بتدبير أمر دنياكم من التجارة والزراعة وغيرها من وسائل الكسب عمّا أوجبه الله عليكم من الفرائض، وأبرزها الجهاد في سبيل الله سلَّطَ الله عليكم بسبب ذلك ذلًّا بتسلط الأعداء عليكم، بحيث يخيِّم ذلك الذل عليكم ويستمرُّ حتى تغيِّروا ما بأنفسكم مِنْ حُبِّ الدنيا وما يترتَّبُ عليه من ترك الواجبات

---

(١) مجموع فتاوى ومقالات الشيخ ابن باز (٩/ ٢٩٧).

(٢) أخرجه أبو داود، كتاب البيوع، باب: في النهي عن العينة (٢/ ٢٧٤ برقم ٣٤٦٢)، والبزار في مسنده (١٢/ ٢٠٥ برقم ٥٨٨٧)، والبيهقي في السنن الكبرى (٥/ ٥١٦ برقم ١٠٧٠٣)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (١/ ٤٢ برقم ١١).



وارتكاب المحرمات، وتعودوا بذلك إلى دينكم الحق الذي حِدْتُمْ عنه فترةً من الزمن.

الأصل الثاني: توحيدُ صفِّها وجَمْعُ كلمتها:

على الساعين إلى إصلاح حال الأمة أن يبذلوا قصارى جهدهم في جمع كلمة الأمة وتوحيد صفها قبل استنفارها لمواجهة عدوها.

وهناك سنن كونية وتجارب تاريخية يجب أن يستلهمها ويفيد منها مَنْ يعمل على النهوض بالأمة وتغيير حالها.

فقد مرَّتْ بالأمة أحوالٌ قريبةٌ من أحوالنا وظروفٌ تشبه إلى حدٍّ كبيرٍ ظروفَنا بل ربما كانت أسوأ منها، فعالج المصلحون تلك الأحوال وبذلوا في سبيل ذلك جهودًا كبيرة فصلح بذلك حالها وقوي شأنها وعاد للأمة قوتها وهيبتها، ولعلَّنا نستعرضُ بعضًا منها:

١- فالعرب كان حالهم لا يخفى على أدنى مطلع على التاريخ، وقد أبرز ذلك القرآن وقرَّره وامتنَّ على من آمن منهم بتغييره، كما في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ



بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾

[آل عمران:١٠٢-١٠٣].

وفي آخر هذا السياق جاء قوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾ لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّآ أَذًى ۖ وَإِن يُقَٰتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ ٱلْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ﴾ [آل عمران:١١٠-١١١].

وامتن على رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بتأليف قلوب أصحابه، فقال تعالى: ﴿وَإِن يُرِيدُوٓا۟ أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ ٱللَّهُ ۚ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال:٦٢-٦٣].

فما ظهر شأن العرب ولا عَزُّوا ولا قامتْ لهم دولة إلا بعد أن اجتمعت كلمتهم على الإسلام وتآلفت قلوبهم بالإيمان ولوازمه







من الأخـوة والمحبة وتوحيد الصف ونبذ ما كانوا عليه من العصبية الجاهلية الباعثة على التفرُّق والاقتتال لأتفه الأسباب.

ولا نـصر الله رسـوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالمؤمنـين إلا بعـد أنْ أَلَّف بين قلوبهم بالإيمان فصارُوا يَدًا واحدة على عدوِّهم، فنصرهم الله ونصر بهـم رسـوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ودينـه، وكان هذا أكـبر رادع لأعدائهم أن يطمعـوا فيهم؛ لذا عمل اليهـود والمنافقون على اختراق هذا الحصن الحصين فما استطاعوا إليه سـبيلًا؛ لأن رسـول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يتصدَّى لهم في كل مرة وسـيأتي ذكر ذلك[1]، وحتى نصارى الشـام بذلـوا جهـدًا في ذلك فخاب مسـعاهم، وذلك حينما هجر الرسـول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه الثلاثة الذين خُلِّفُوا فراسـلوا كعبَ بْنَ مالكٍ ليلحـق بهـم، والغرض هو شـق صـف المسـلمين، ولكنَّ كعبًـا تنبَّه لذلك، فقال في نفسـه: (وهذا من البلاء، ثم ذهب بالكتاب فسجرَهُ في التنُّور)[2].

---

(١) انظر ص (٢٩ و٣٠). ؟؟؟؟؟؟؟؟

(٢) رواه البخـاري في كتـاب المغـازي، بـاب حديث كعـب بن مالـك (٦/ ٣) رقم (٤٤١٨)، ومسـلم في كتـاب: التوبـة بـاب: توبـة كعـب بـن مالـك وصاحبيه (٨/ ١٠٥) رقم (٢٧٦٩).



٢- وبموت الرسـول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كادت الفتنة أنْ تطلَّ برأسـها بين المهاجرين والأنصار؛ بسـبب ظنِّ فريقٍ من الأنصار استحقاقَهُم للخلافـة وإدارة الدولة، فتصـدَّى لها كبار الصحابة أبـو بكرٍ وعمرُ وأبو عبيدة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ.

وأخَّروا - من أجل تلافيها - دفنَ رسـولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتى حسـمُوا أمرَهـا وبايَعُـوا أبا بكـر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ واجتمعتْ عليـه الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وبذلـك تأمَّنـت الجبهـة الداخلية وهابَهـا مَـنْ كان متربِّصًا بالمسلمين ووقف عندَ حدِّه.

٣- وعندما سـمع الأعراب، وحديثو العهد بالإسلام في بعض النواحي بموت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ارتدَّ كثيرٌ منهم عن الإسلام، قـال ابْنُ حَزْمٍ في الفصـل في المِلَلِ وَالنِّحَـلِ: (انْقَسَـمَتِ الْعَرَبُ بَعْدَ مَوْتِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى أَرْبَعَةِ أَقْسَـامٍ: طَائِفَةٌ بَقِيَتْ عَلَى مَا كَانَتْ عَلَيْـهِ فِي حَيَاتِـهِ - وَهُمُ الْجُمْهُورُ - وَطَائِفَةٌ بَقِيَتْ عَلَى الْإِسْـلَامِ أَيْضًا إِلَّا أَنَّهُـمْ قَالُـوا: نُقِيمُ الشَّرَائِـعَ إِلَّا الزَّكَاةَ -وَهُمْ كَثِـيرٌ - لَكِنَّهُمْ قَلِيلٌ بِالنِّسْـبَةِ إِلَى الطَّائِفَةِ الْأُولَى، وَالثَّالِثَةُ أَعْلَنَتْ بِالْكُفْرِ وَالرِّدَّةِ كَأَصْحَابِ





طُلَيْحَةَ وَسَجَاحِ وَهُمْ قَلِيلٌ بِالنِّسْبَةِ لِمَنْ قَبْلَهُمْ إِلَّا أَنَّهُ كَانَ فِي كُلِّ قَبِيلَةٍ مَنْ يُقَاوِمُ مَنِ ارْتَدَّ وَطَائِفَةٌ تَوَقَّفَتْ فَلَمْ تُطِعْ أَحَدًا)[(١)].

وذلك - لا شكَّ - مُوجِبٌ للتنازع والفشل وذهاب الريح، فتصدى لذلك أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قبل كل شيء ماعدا إنفاذ جيش أسامة بن زيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إنفاذًا لوصية النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وبعده بادر الصدِّيق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بإعادة الناس إلى الجادَّة من حيث إعادتهم إلى التوحيد والإيمان وإعادتهم إلى حظيرة الأمة وسلطة الخلافة وجمع الكلمة، وما بدأ فتوحاته للدول والأمم المجاورة إلا بعد أن أصبح المسلمون يَدًا واحدة وكلمة واحدة كما يحب الله أن يكونوا عليه، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنۡيَٰنٞ مَّرۡصُوصٞ ﴾ [الصف:٤].

فحقَّق الله له فتح باب الفتوح، وشرعَت جيوش المسلمين تدُكُّ أسوار أكبر ممالك الأرض حينها ممالك فارس والروم، وفي عهد عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ثم عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ تحقَّق ذلك الحلم، وكَمُلَ لهم ما أرادوا في ظلِّ وحدة صفِّهم، وتوحيد كلمتهم.

---

(١) نقله عنه الحافظ ابن حجر في الفتح (١٢/ ٢٧٦).



٤- وعندما حصلت الفتنة بقتل عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وما ترتَّب عليها من انقسام وقتال بين الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُم ومعهم بقية الأمة، وتوقَّفت بسبب ذلك الفتوحات وساء حال الأمة لمْ تَعُدْ إليها عافيتُها التامة إلا بجمع كلمتها من جديد وذلك بقبول الحسن بن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الصلح والتسليم لمعاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بالخلافة تحقيقًا لعَلمٍ من أعلام نبوة النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ حيث نوَّه بذلك صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأثنى به على الحسن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ، وَلَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يُصْلِحَ بِهِ بَيْنَ فِئَتَيْنِ عَظِيمَتَيْنِ مِنَ المُسْلِمِينَ**»(١).

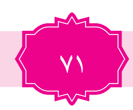
وفرح المسلمون بذلك فرحًا عظيمًا وسمَّوا ذلك العام عام الجماعة وعادت للأمة قوَّتها وهيبتها ومكانتها وتوالتْ بعد ذلك الفتوحات.

٥- وحينما رأى يوسف بن تاشفين رَحِمَهُ اللَّهُ أمير المرابطين في القرن الخامس حالَ أهلِ الأندلس وما نزل بهم مِنْ تسلُّطِ النصارى عليهم، وعرف أن سبب ذلك هو ما كانوا عليه من التشتُّت والنزاع ومحاربة

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الفتن، باب: قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للحسن بن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «**ابني هذا سيد، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين**» (٣/ ١٨٦ برقم ٢٧٠٤) عن أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.





بعضهم بعضًا عَبَرَ إليهم ووحَّدهم تحت قيادته، ثم واجه بهم عدوَّهم صفًّا واحدًا، فانتصروا عليه في معركة الزلاقة نصرًا مؤزَّرًا، كان من نتائجه أنْ تأخَّر بقاءُ المسلمين في الأندلس أربعةَ قرونٍ من الزمان، كما يقول بعض المؤرِّخين، ولمَّا رجع إلى المغرب وعادُوا إلى ما كانوا عليه من النزاع والصراعات عَبَرَ مرَّةً أخرى بل مرَّاتٍ وأزاح تلك القيادات الهزيلة وجمع أهلَ الأندلس في دولة واحدة تحتَ إِمْرَتِهِ، وبذلك عزَّتْ دولة الإسلام في المغرب والأندلس وطال بقاؤها بعدَ أنْ كانتْ آيلةً للسقوط.

٦- وهكذا فعلَ عمادُ الدِّينِ زِنْكِي وابنُه نورُ الدِّينِ الشهيدُ ووارثُ دولتِهم وجهادِهم صلاحُ الدِّينِ الأيُّوبيُّ هؤلاء وَجَدُوا قلبَ العالَمِ الإسلاميِّ العراق والشام ومصر واليمن وغيرها من أرض الله وجدوهُ ممزَّقًا متشظيًا في كل قريةٍ دولةٌ وأميرٌ والرَّفْضُ هو المسيطِرُ على أجزاء من تلك البلاد في مصر وغيرها والصليبيون مالكون لأكثر بلاد الشام وما وَالَاها، والمتنفِّذون من المحسوبين على المسلمين يتبارَوْنَ في موالاتهم وتقديم القرابين إليهم، رأوا ذلك كله، فبدأوا بالقضاء على ذلك التمزُّق وعلى الوجود الرافضيِّ والباطنيِّ، فلـمَّا تَّم لهم ذلك في آخر دولة نور الدِّين زنكي وبداية دولة صلاح



الذين تفرَّغُوا لجهاد الصليبيين فانتصرُوا عليهم واستردُّوا بلادَ المسلمين من قبضتهم، وفي مقدِّمتها بيتُ المقدس على يد صلاح الدِّين، ولمْ تقمْ للصليبيين بعدَه في ديار المسلمين قائمة.

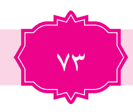
جاء في الموسوعة البريطانية: «لقد نجحَ صلاحُ الدِّين في قلب الميزان العسكري للقوَّة في صالحه عن طريق الاتحاد وضبط العدد العظيم مِن القُوى المشتَّتة أكثر من استخدام التكتيك العسكري الحديث أو المتطور»[(١)].

٧- وبعد ذلك بمُدَّةٍ حينما غزا التتار الشَّامَ أيامَ ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ كان أوَّلُ ما عمله لمواجهة العدو السعي لجَمْع أهل الشام ومصر على كلمة واحدة، وإقناعهم جميعًا بجهاد العدوِّ فتكوّن الجيشُ الشاميُّ من جميع أهل السنة -بمعناهم الواسع- أثرية وأشعرية وصوفية ولمْ يستثنِ إلَّا مَنْ عُرِفُوا بخيانتهم وغَدْرِهم وعداوتهم لأهل السنة وهم الرافضة والباطنية، وجمع الجميع من أهل الشام وألحَّ على سلطان المماليك بمصر آنذاك الناصر محمد بن قلاوون فجاء

(١) نقلًا من مقال بعنوان: خطورة الفرقة وأسبابها، للكاتب مصطفى حمودة عشيبة، شبكة الألوكة:

http://www.alukah.net/sharia/0/55096/





ومعـه جيش الدولة، وتوحَّدوا تحت قيادة واحـدة ونازَلُوا العدوَّ في معركة شـقحب فانتصرُوا عليه بفضل الله ثم بفضل توحيد موقفهم وتعاونهـم وتصحيح بعض الأخطاء التي كانوا عليها، كما ذكر ذلك شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

ثمرة هذه الجولة:

والـذي نخـرج به من جولتنـا مع هـذه التجارب هـو أن ما قام بـه أولئك المصلحـون هو التجسـيدُ العمليُّ لقولـه تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمۡ فِئَةٗ فَٱثۡبُتُواْ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٤٥ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [الأنفال:٤٥-٤٦]، ولقولـه في المقابـل: ﴿وَقَٰتِلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ كَآفَّةٗ كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمۡ كَآفَّةٗۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴾ [التوبة:٣٦].

قـال ابـن عطية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (إنما مَعْنَى هَـذِهِ الْآيَةِ الحَضُّ عَـلَى قِتَالِهِمْ وَالتَّحَزُّبُ عَلَيْهِمْ وَجَمْعُ الْكَلِمَةِ، ثُمَّ قَيَّدَهَا بِقَوْلِهِ: ﴿كَآفَّةٗ ﴾ فَبِحَسَبِ قِتَالِهِمْ وَاجْتِمَاعِهِمْ لَنَا يَكُونُ فرض اجتماعنا لهم، والله أعلم)[١].

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز-تفسير ابن عطية (٣/ ٣١).



وهو تجسيدٌ لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَـٰنٌ مَّرْصُوصٌ ﴾ [الصف:٤].

وهو اقتداءٌ برسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حين ابتدأ إقامة دولة الإسلام، فتلك التجارب تفسِّر لنا عمليًّا هذه الآيات، وترجعنا إلى ما دَأَبَ عليه رسولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في سيرته العطرة، وتُوْرِثُنَا الاعتقادَ الجازمَ أنَّ وحدة الأمة هي واجبُ العصر، ووحدتُها بجميع فئاتها السُّنِّيَّة شعوبًا ودُوَلًا، وإذا كان ذلك غيرَ متيسِّرٍ الآن على مستوى الأمة كاملة فلا أقل من أن يقوم به من تيسر له منهم ولوْ أنْ تتوحَّدَ مواقفُ كلِّ أهل بلد فيما بينهم؛ تمهيدًا للوصول إلى وحدة المواقف العامة لجميع المسلمين أهل السنة.

وقد طبق هذا المبدأ رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما سبق من كتابة الوثيقة بين مكونات سكان المدينة.

وهذه نماذج عملية تطبيقية لما تضمنته تلك الوثيقة:

النموذج الأول: حرص النبي والمسلمين على شهود المنافقين معهم معركة أحد وقد أشار إلى قصتهم القرآن.

النموذج الثاني: حرصه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على حضورهم في غزوة

الخندق، وقد حضروا بالفعل أو حضر بعضهم على الأقل، وقصتهم في ذلك مشهورة قصها القرآن.

النموذج الثالث: حرص النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والمسلمين على حضور ووقوف بني قريظة مع المسلمين في معركة الخندق، وقصتهم كذلك مشهورة، وأشار إليها القرآن وفصلتها كتب السنة والسيرة.

النموذج الرابع: ندب جميع أهل المدينة للنفرة إلى تبوك، وخروج بعض المنافقين معه وتخلف أكثرهم عن الخروج واعتذارهم اعتذارًا كاذبًا عن التخلف، وإذن لنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لهم وعتاب لله له على ذلك كما في سورة التوبة.

هذه النماذج كلها في حياة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثم مازال ذلك دأب المسلمين في عصورهم المختلفة.

بل إن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وضع لنا قاعدة عامة وهو يشرح لأصحابه مسوغ قبوله لصلح الحديبية قَالَ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يَسْأَلُونِي خُطَّةً يُعَظِّمُونَ فِيهَا حُرُمَاتِ اللهِ إِلَّا أَعْطَيْتُهُمْ إِيَّاهَا**»[(١)]، قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ وهو يعدد ما في صلح الحديبية من الفوائد: (وَمِنْهَا:

(١) رواه البخاري ك..الشروط (٢٧٣٤).





أَنَّ الْمُشْرِكِينَ وَأَهْلَ الْبِدَعِ وَالْفُجُورِ وَالْبُغَاةِ وَالظَّلَمَةِ إذا طَلَبُوا أَمْرًا يُعَظِّمُونَ فِيهِ حُرْمَةً مِنْ حُرُمَاتِ اللهِ تعالى، أُجِيبُوا إليه وَأُعْطُوهُ وَأُعِينُوا عَلَيْهِ وَإِنْ مَنَعُوا غَيْرَهُ فَيُعَاوَنُونَ عَلَى مَا فِيهِ تَعْظِيمُ حُرُمَاتِ اللهِ تعالى لَا عَلَى كُفْرِهِمْ وَبَغْيِهِمْ، وَيُمْنَعُونَ مِمَّا سِوَى ذَلِكَ فَكُلُّ مَنِ الْتَمَسَ الْمُعَاوَنَةَ عَلَى مَحْبُوبٍ للهِ تعالى مُرْضٍ لَهُ أُجِيبَ إلى ذَلِكَ كَائِنًا مَنْ كَانَ مَا لَمْ يَتَرَتَّبْ عَلَى إِعَانَتِهِ عَلَى ذَلِكَ الْمَحْبُوبِ مَبْغُوضٌ للهِ أَعْظَمُ مِنْهُ، وَهَذَا مِنْ أَدَقِّ الْمَوَاضِعِ وَأَصْعَبِهَا وَأَشَقِّهَا عَلَى النُّفُوسِ، وَلِذَلِكَ ضَاقَ عَنْهُ مِنَ الصَّحَابَةِ مَنْ ضَاقَ، وَقَالَ عمر مَا قَالَ حَتَّى عَمِلَ لَهُ أَعْمَالًا بَعْدَهُ وَالصِّدِّيقُ تَلَقَّاهُ بِالرِّضَى وَالتَّسْلِيمِ، حَتَّى كَانَ قَلْبُهُ فِيهِ عَلَى قَلْبِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَأَجَابَ عمر عَمَّا سَأَلَ عَنْهُ مِنْ ذَلِكَ بِعَيْنِ جَوَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَذَلِكَ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الصِّدِّيقَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَفْضَلُ الصَّحَابَةِ وَأَكْمَلُهُمْ وَأَعْرَفُهُمْ بِاللهِ تعالى وَرَسُولِهِ ﷺ، وَأَعْلَمُهُمْ بِدِينِهِ وَأَقْوَمُهُمْ بِمَحَابِّهِ وَأَشَدُّهُمْ مُوَافَقَةً لَهُ، وَلِذَلِكَ لَمْ يَسْأَلْ عمر عَمَّا عَرَضَ لَهُ إِلَّا رَسُولَ اللهِ ﷺ وَصِدِّيقَهُ خَاصَّةً دُونَ سَائِرِ أَصْحَابِهِ)[١].

---

(١) زاد المعاد (٣/ ٢٦٩).



وهـذه نماذج من تعاون أهل السـنة وتوحيد مواقفهم على ما فيه مصالحهم العليا -رغم ما بينهم من خلافات- وهي:

النموذج الأول: قال ابن كثير في تاريخه في سياق حديثه عن الدولة البويهيـة الرافضيـة وأفعالهـا القبيحة وما ترتب على ذلك من تسـلط الصليبيين على المسـلمين: (ثم دخلت سـنة ثنتين وستين وثلاثمائة في عـاشر محرمها عملت الروافـض من النياحة وتعليق المسـوح وغلق الأسـواق ما تقدم قبلها، وَفِيهَا اجْتَمَعَ الْفَقِيهُ أَبُو بَكْرٍ الرَّازِيُّ الْحَنَفِيُّ وَأَبُو الْحَسَـنِ عَلِيُّ بْنُ عِيسَـى الرُّمَّانِيُّ وَابْنُ الدقاق الحنبلي بعز الدولة بختيار بْنِ بُوَيْهِ وَحَرَّضُوهُ عَلَى غَزْوِ الرُّومِ، فَبَعَثَ جَيْشًا لِقِتَالِهِمْ فَأَظْفَرَهُ اللهُ بِهِمْ، وَقَتَلُوا مِنْهُمْ خَلْقًا كَثِيرًا وَبَعَثُوا بِرُءُوسِهِمْ إلى بَغْدَادَ فَسَكَنَتْ أنفـس الناس)[1] فانظـر كيف توحد الحنابلة -السـلفيون- مع عدة طوائـف أخرى وكلهم قامـوا بتحريض السـلطان البويهي الرافضي والضغط عليه لدفع الخطر الكبير الذي يتهدد الأمة بأسرها.

وقـد أورد ابـن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ صـورة لتوحيد الموقف بـين الحنابلة -السـلفيون بتعبيرنـا المعاصر- وبين الأشـاعرة حينـما اقتضى الحال ذلك لواجب جهاد الصليبيين، فقال في ترجمة الشـيخ أبي عمر محمد

---

(١) البداية والنهاية (١١/ ٢٧٣).

بن أحمد بن قدامة المقدسي شيخ الحنابلة المقدسيين في وقته رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وكان هو وأخوه وابن خالهم الحافظ عبد الغني وأخوه الشيخ العماد لا ينقطعون عن غزاة يخرج فيها الملك صلاح الدين إلى بلاد الفرنج، وقد حضروا معه فتح القدس والسواحل وغيرها، وجاء الملك العادل يومًا إلى خيمتهم أي: خصهم لزيارة أبي عمر وهو قائم يصلي فما قطع صلاته ولا أوجز فيها فجلس السلطان واستمر أبو عمر في صلاته ولم يلتفتْ إليه حتى قضى صلاته رَحِمَهُ ٱللَّهُ)[١].

وقبل ذلك حصل توحيد موقف الحنابلة والأشاعرة في بغداد لمواجهة تفشي الفساد الأخلاقي.

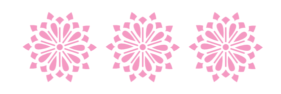
قال ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ في ذيل طبقات الحنابلة: (وفي سنة أربع وستين وأربعمائة: اجتمع الشريف أَبُو جعفر ومعه الحنابلة في جامع القصر وأدخلوا معهم أبا إسحاق الشيرازي وأصحابه، وطلبوا من الدولة قلع المواخير وتتبع المفسدين والمفسدات ومنْ يبيعُ النبيذ وضربَ دراهم تقع بها المعاملة عوض القراضة فتقدم الخلفية بذلك فهرب المفسدات وكُبِسَت الدور وأريقت الأنبذة)[٢].

---

(١) البداية والنهاية (١٣/ ٥٩).

(٢) ذيل طبقات الحنابلة (١/ ٣٦).

أبو إسحاق الشيرازي رَحِمَهُ ٱللَّهُ شافعي المذهب أشعري الاعتقاد، بـل هو رأس أصحابه في بغداد، وقد كان لـه دور بارز في الفتنة التي جرت بين الأشاعرة والحنابلة بعد ذلك فيما عرف بفتنة ابن القشيري، وهي فتنة من أسـوأ ما حصل من الفتن بين أهل السـنة، سـقط فيها قتلى وانتهكت فيها حرمات وذهبت أموال وشـمت بسببها الرافضة مـن أهـل السـنة، حدثت سـنة (٤٦٩) بعـد خمس سـنوات من هذا التعـاون والموقف الموحد بينهما، بينما كانت جـذور الخلاف والنزاع بينهما قديمة قبل ذلك بأزمان.




شبكة
الألوكة



المبحث الخامس

القاعدة التي نجتمعُ عليها

وهنا أقترحُ أن تكون لنا قاعدة نتفق عليها، وهي:

إنَّ اتحاد المواقف فيما يحقِّق المصالح العليا للأمة ليس من شرطه الاتفاق في جميع المبادئ والقناعات، وأعني بذلك أن قادة البلاد السنية من علماء ومثقَّفين وسياسيين ومَنْ له صوتٌ مسموع في البلاد السنية يجب عليهم أن تتوحَّد مواقفُهم على ما فيه المصالح العليا لشعوبهم وأوطانهم، ويَصْدُقُوا اللهَ في ذلك، ويتجرَّدُوا عن عصبيَّاتهم الطائفية والحزبية والعرقية والمناطقية وسائر العصبيات الجاهلية، وعن أهوائهم ومصالحهم الخاصة، ويعملوا على تحقيق المصالح العليا للأمة، ودفع المخاطر المحدقة بها، فالخلاف لنْ ينتهي والقناعات لنْ تتوحَّد، ولمعالجة ذلك منهجٌ شرعيٌّ يجبُ السَّيْرُ عليه؛ كيْ لا يفرِّقَنا تبايُنُ القناعاتِ، ولا يدفعُنا الخلافُ إلى التنازع الممقوت.

وقد سبق ذكر الأدلة والشواهد على مشروعية هذه القاعدة، وأكرر هنا هذا النقل عن شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: (فَإِذا





تَعَـذَّرَ إِقَامَـةُ الْوَاجِبَاتِ مِـنَ الْعِلْمِ وَالْجِهَـادِ وَغَيْرِ ذَلِـكَ إِلَّا بِمَنْ فِيهِ بِدْعَةٌ مَضَرَّتُهَا دُونَ مَـضَرَّةِ تَرْكِ ذَلِكَ الْوَاجِبِ: كَانَ تَحْصِيلُ مَصْلَحَةِ الْوَاجِـبِ مَعَ مَفْسَـدَةٍ مَرْجُوحَـةٍ مَعَهُ خَـيْرًا مِنْ الْعَكْـسِ. وَلِهَذَا كَانَ الْكَلَامُ فِيْ هَذِهِ الْمَسَائِلِ فِيهِ تَفْصِيل)[١].

وليحذرَ الجميع من مكائد أعدائهم الذين يعملون على تفريقهم بوسائل شتَّى ويختلقون لذلك مسـوِّغات خبيثة ماكرة يوحون لكلِّ فئة منهم بما يروج عندها، فهناك مسوِّغات دينية بزعمهم وإيحائهم، وهناك مسوِّغات سياسية واقتصادية وأمنية وعرقية، كلُّ ذلك وغيره تستخدمه مخابراتُ الأعداء، وتسخَّر لتنفيذه قياداتُ الأمَّة السياسية والدينيـة والاجتماعية والإعلامية وغيرها مِمَّنْ يطيعُها في ذلك بِوَعْيٍ أو بغير وَعْيٍ.

وهذا تصوير لهذه المؤامرات جاء في معرض الرَّدِّ على من يداوي بالتي كانت هي الداء:

لا لَـيْـسَ ذَاكَ هُـوَ الْـعِـلاجَ وَإِنَّمَـا
هَـذَا مُـرَادُ عَـدُوِّنَـا وَمَـرَامُـهُ

(١) مجموع الفتاوى (٢٨/ ٢١٣).





فَـــتَراهُ يَـنْـفُـخُ فِي أَتُـــونِ صِـرَاعِـنَـا
وَمِـــنَ الْـعَـجَـائِـبِ أَنْ يُـطَـاعَ كَـلامُـهُ

وَيُـعِـدُّ لِـلْـخُـطَـطِ الْـخَـطِـيرَةِ وَحْـدَهُ
وَالْـــكُـــلُّ فِـــي تَـنْـفِـيـذِهَـا خُـــدَّامُـــهُ

يَـتَـسَـابَـقُ الْـمُـتَـزَلِّـفُـونَ لِـفَـرْضِـهَـا
فِـيـنـا وَيُـكْـمِـلُ مَـا بَـقِـي إِعْـلامُـهُ

وَعُـيُـونُـهُ فِـيـهَـا تَجُـوسُ وَإِنْ تَـرَى
ذا هَـيْـئَـةٍ فَـمُـزَيَّـفٌ إِسْـلامُـهُ

مِـنَّـا وَفِـيـنَـا غَـيْرَ أَنَّ ضَـمِـيرَهُ
قَـدْ بِـيـعَ يَـوْمَ تَـكَـاثَـرَتْ آثَـامُـهُ[(١)]

وفي مثل ذلك نزل قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ ﴿١٠٠﴾ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ ۗ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ۚ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ

(١) من قصيدة للمؤلف بعنوان: (لكيْ نخرج من التِّيْه).



فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٠- ١٠٣].

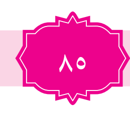
وأكثر المفسرين على أن هذه الآيات نزلتْ في ما قام به اليهود من السعيِ لبذر الفتنة بين المسلمين(١).

قال البغوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قال زَيْدُ بْنُ أَسْلَمَ: إِنَّ شَاسَ بْنَ قَيْسٍ اليهودِيَّ -وَكَانَ شَيْخًا عَظِيمَ الْكُفْرِ شَدِيدَ الطَّعْنِ عَلَى الْمُسْلِمِينَ- مَرَّ عَلَى نَفَرٍ مِنَ الْأَوْسِ وَالْخَزْرَجِ فِي مَجْلِسٍ جَمْعِهِمْ يَتَحَدَّثُونَ فَغَاظَهُ مَا رَأَى مِنْ أُلْفَتِهِمْ وَصَلَاحِ ذَاتِ بَيْنِهِمْ فِي الْإِسْلَامِ بَعْدَ الَّذِي كَانَ بَيْنَهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ مِنَ الْعَدَاوَةِ، قَالَ: قَدِ اجْتَمَعَ مَلَأُ بَنِي قَيْلَةَ بِهَذِهِ الْبِلَادِ لَا وَاللهِ مَا لَنَا مَعَهُمْ إذا اجْتَمَعُوا بِهَا مِنْ قَرَارٍ، فَأَمَرَ شَابًّا مِنَ اليهودِ كَانَ مَعَهُ، فَقَالَ: اعْمَدْ إليهِمْ وَاجْلِسْ مَعَهُمْ ثُمَّ ذَكِّرْهُمْ يَوْمَ بُعَاثٍ وَمَا كَانَ قَبْلَهُ وَأَنْشِدْهُمْ بَعْضَ مَا كَانُوا تَقَاوَلُوا فِيهِ مِنَ الْأَشْعَارِ، وَكَانَ بُعَاثٌ يَوْمًا اقْتَتَلَتْ فِيهِ الْأَوْسُ مَعَ الْخَزْرَجِ وَكَانَ الظَّفَرُ فِيهِ لِلْأَوْسِ عَلَى الْخَزْرَجِ، فَفَعَلَ وَتَكَلَّمَ فتكَلَّمَ الْقَوْمُ عِنْدَ ذَلِكَ فَتَنَازَعُوا

(١) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن -تفسير الطبري- (٦/ ٥٨)، والجامع لأحكام القرآن -تفسير القرطبي- (٤/ ١٥٥)، وأسباب النزول، الواحدي (١/ ١١٦-١١٧)، والاستيعاب في بيان الأسباب، سليم بن عيد الهلالي، محمد بن موسى آل نصر (١/ ٢٧٨).







وَتَفَاخَرُوا حَتَّى تَوَاثَبَ رَجُلَانِ مِنَ الحَيَّيْنِ عَلَى الرُّكَبِ، أَوْسُ بْنُ قِبْطِيٍّ أَحَدُ بَنِي حَارِثَةَ مِنَ الْأَوْسِ وَجَبَّارُ بْنُ صَخْرٍ أَحَدُ بَنِي سَلَمَةَ مِنَ الْخَزْرَجِ، فَتَقَاوَلَا ثُمَّ قَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ: إِنْ شِئْتُمْ وَاللهِ رَدَدْتُهَا الْآنَ جَذَعَةً، وَغَضِبَ الْفَرِيقَانِ جَمِيعًا وَقَالَا: قَدْ فَعَلْنَا، السِّلَاحَ السِّلَاحَ، مَوْعِدُكُمُ الظَّاهِرَةُ، وَهِيَ حَرَّةٌ، فَخَرَجُوا إليها، وَانْضَمَّتِ الْأَوْسُ وَالْخَزْرَجُ بَعْضُهَا إلى بَعْضٍ عَلَى دَعْوَاهُمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَبَلَغَ ذَلِكَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَخَرَجَ إليهِمْ فِيمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ حَتَّى جَاءَهُمْ، فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ أَبِدَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ وَأَنَا بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ بَعْدَ إِذْ أَكْرَمَكُمُ اللهُ بِالْإِسْلَامِ وَقَطَعَ بِهِ عَنْكُمْ أَمْرَ الْجَاهِلِيَّةِ وَأَلَّفَ بَيْنَكُمْ؟ تَرْجِعُونَ إلى مَا كُنْتُمْ عَلَيْهِ كُفَّارًا، اللهَ اللهَ!!** فَعَرَفَ الْقَوْمُ أَنَّهَا نزغَةٌ من الشَّيْطَانِ وَكَيْدٌ مِنْ عَدُوِّهِمْ فَأَلْقَوُا السِّلَاحَ مِنْ أَيْدِيهِمْ وَبَكَوْا وَعَانَقَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، ثُمَّ انْصَرَفُوا مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَامِعِينَ مُطِيعِينَ فَأَنْزَلَ الله تعالى فِيهِمْ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ ﴾ [آل عمران: ١٠٠].

قَالَ جَابِرٌ: فَمَا رَأَيْتُ قَطُّ يَوْمًا أَقْبَحَ أَوَّلًا، وَأَحْسَنَ آخِرًا مِنْ ذَلِكَ الْيَوْمِ»[١].

(١) معالم التنزيل في تفسير القرآن -تفسير البغوي- (٢/ ٧٥-٧٦).



استمرار سياسة الأعداء في التفريق بين المسلمين

ومازالت هذه السياسة سائدة لدى أعداء المسلمين إلى اليوم، بل هي اليوم أشدُّ وأنكى، وهناك مقالٌ مُهِمٌّ رصدَ بعضَ خِططِ الأعداء لتفريق المسلمين وجَعْلِهم يتنازعون ليفشلوا وتذهب ريحهم.

المقال بعنوان: (الطائفيةُ سلاحُ الغرب الأمضى لتفتيت الشَّرق الأوسط) للكاتب عبد الحميد سلُّوم، يقول فيه: «في هذا المقال سأستعرض بعض الوثائق والوقائع والحقائق والمعطيات والتصريحات المأخوذة كلها من أفواه الصهاينة في إسرائيل أو في أمريكا، معتمدًا أحد مناهج البحث السياسيّ المتعدِّدة ألا وهو المنهج التاريخي الذي يستند إلى الأحداث التاريخية في فهم الحاضر والمستقبل، وعدم فهم وإدراك أية حالة سياسية إلا بالعودة إلى جذورها التاريخية وتطوُّرها سلبًا أم إيجابًا»[١].

وبالفعل أورد عددًا كبيرًا من الوثائق والتصريحات والتنظيرات لعدد من عتاة الصهاينة والمتصهينين، ففي يوم الإعلان عن قيام دولة

---

(١) انظر الرابط الآتي (ص٨٩).

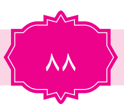


إسرائيـل أعلـن دافيد بن غوريـون (أنَّ أمْنَ إسرائيـل يتحقَّق عندما تكـون إسرائيل أقوى عسـكريًّا من أي تحالف عـربي محتمل)، وجاء شرح ذلـك في مقال بقلم الصحفيِّ الإسرائيليِّ عـود يدينون المرتبط بالخارجيـة الإسرائيليـة دعا فيه بوضـوح إلى نشر الفـوضى في العالم العـربيِّ، وإحداث انقسـام في الـدول العربية من الداخـل إلى درجة تصـل إلى بلقنـة مختلـف الجمهوريـات العربية وتجزئتهـا إلى جيوب طائفية، وسبق لوزير الخارجية الأمريكية الأسبق هنري كيسنجر أنْ صرَّح أنـه بهذه المنطقة وُجِـدَتْ كلُّ الأديان ولا يمكن التعامل معها إلا مـن خـلال الديـن!!! أي: أن اللعب على وتـر الدِّين هو المدخل المناسب لتنفيذ المشاريع التي تصبو إليها الصهيونية العالمية؛ ويقصد بذلك بث الصراعات الدينية والطائفية بين أهل هذه المنطقة.

وفي مقابلـة لبرنـار لويـس في ٢٠/ ٥/ ٢٠٠٥ قـال تمامًا ما يأتي: «إن العرب والمسلمين قومٌ فاسدون ومفسدون فوضويون لا يمكن تحضُّرهـم، وإذا تُرِكُـوا لأنفسـهم فسـوف يفاجئون العـالم المتحضِّر بموجـات بشرية إرهابيـة تدمِّر الحضـارات وتقـوِّض المجتمعات؛ ولذلـك فـإن الحـل السـليم للتعامـل معهـم هـو إعـادة احتلالهـم واسـتعمارهم، وفي حال قيام أمريكا بهذا الدور فإن عليها أن تستفيد







من التجربة البريطانية والفرنسية في استعمار المنطقة لتجنُّب الأخطاء والمواقف السلبية التي اقترفتها الدولتان...، وأنه من الضروري إعادة تقسيم الأقطار العربية والإسلامية إلى وحدات عشائرية وطائفية، ولا داعيَ لمراعاة خواطرهم أو التأثر بانفعالاتهم وردود الأفعال عندهم؛ ولذا يجب تضييق الخناق على هذه الشعوب ومحاصرتها واستثمار التناقضات العرقية والعصبيات القبلية والطائفية فيها قبل أن تغزو أمريكا وأوروبا لتدمِّرَ الحضارة فيها».

وجوناثان كوك في كتابه: (إسرائيل وصراع الحضارات) يكشف بوضوح محاولات إسرائيل استخدام مقولة صراع الحضارات لإعادة صياغة الشرق الأوسط بأكمله على نحوٍ مواتٍ لها ولمصالحها!!

ويؤكِّد (كوك) أن الحرب الأهلية ودعوات التقسيم التي رافقتها كانت على وجه التحديد هي الهدف الأول لغزو العراق، وأن هذا الهدف لم يوضع في واشنطن، وإنما في مكان آخر على بُعْدِ آلاف الأميال -ويقصد تل أبيب- والحالة العراقية التي تسودها الانقسامات الطائفية والدينية والعرقية تشكِّل المواصفات المثالية للدولة العراقية من وجهة النظر الإسرائيلية وبحسب التصوُّر الصهيوني، فمن



يسيطر على العراق يتحكم استراتيجيًّا في الهلال الخصيب، وبالتالي الجزيرة العربية، فضلًا عن موارده الضخمة....)[١].

وغير هؤلاء من كبار مفكري الصهاينة وأنصارهم كلهم يوصون بإشعال الفتنة في أوساط المسلمين والعمل على تقطيع أواصرهم.

فليفكر العقلاء لماذا كلُّ هذا المَكْر؟ لماذا كل هذه الخطط؟

لماذا كل هذه الجهود؟

أَلِلْعَبَثِ ؟ أَلِلَّهْوِ واللَّعِب ؟ أَلِأَجْلِ أهدافٍ تافهةٍ ومصالحَ آنيَّة ؟ قطعًا لا، بل لأهداف كبيرة وبعيدة المدى.

إذن، فالواجب علينا العمل بكلِّ ما أوتينا من قوة لإفشال تلك المشاريع التدميرية؛ وذلك بالعمل لتحقيق عكس ما يريدون من إصلاح ذات البَيْنِ ووحدة الصف وجمع الكلمة على توحيد الله تعالى وأصول السنة لنصل إلى توحيد المواقف على أن يسبق ذلك توفير الوسائل الموصلة إلى تلك الأهداف وعلى رأسها الالتزام بأدب الحوار.

ولا يُلزَمُ -مِنْ أَجلِ جمع كلمة المسلمين وتوحيد مواقفهم- أحدٌ بترك مذهبه الدينيّ أو قناعته الفكرية بل يُقبَلُ منه وقوفُه مع

---

(١) http://yemenportal.net/posts/840173

إخوانه وهو متمسك بما هو مقتنع به، فلا يداهِن بموافقة الآخرين فيما لا يقتنع بصحته ولا يداهنونه بتصويب ما يعتقدون أنه مخطئ فيه، بل يوحِّدون مواقفهم ويتمسك كلٌّ بما يعتقد صحته وبقناعاته مع استمرار المناصحة والجدل بالتي هي أحسن والتحلِّي بأرقى آداب الخلاف بين علماء الأمة وقادة فكرها وسياستها بكلِّ تجرُّدٍ وإخلاص.

ولا يستثنى أحد من الاصطفاف في صف الدفاع عن حياض الأمة والسعي لتحقيق مصالحها إلا مَنْ خيفتْ خيانته وعمالته بأدلة تُثْبِتُ عليه ذلك، وفي الوقتِ نفسِه لا يُلَامُ أحدٌ على وضع يده في يد مَنْ يخالفهم في بعض القضايا لتوحيد المواقف وتحقيق المصالح العليا للأمة.

وبذلك نجتاز بعض العوائق والعقبات التي تحول دون اجتماع كلمة الأمة وتعاونها فيما يحقِّق مصالحها العليا.

وهناك ثلاثُ فِرَقٍ تَصُدُّ عن جمع الكلمة وتوحيد المواقف:

فأما الفرقة الأولى: فهم السياسيون الذين ينطلقون من منطلق المصالح الضيِّقة لأنفسهم أو أحزابهم، وما نشأوا عليه من تقديس

الـذات والإعجـاب بالـرأي والنفـس أو المستسـلمون لإمـلاءات الأعداء.

وعلى هـؤلاء أنْ يتَّقُوا الله في أنفسـهم، وفي أمتهم، وأن يراجعوا ما تزخر به نصوص الوحي كتابًا وسُنَّةً من وجوب الحذر من مكائد الأعـداء، وتحريـم اتخاذهم بطانة ومستشـارين، ومـن أوضح ذلك قولـه تعـالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمۡ لَا يَأۡلُونَكُمۡ خَبَالًا وَدُّواْ مَا عَنِتُّمۡ قَدۡ بَدَتِ ٱلۡبَغۡضَآءُ مِنۡ أَفۡوَٰهِهِمۡ وَمَا تُخۡفِي صُدُورُهُمۡ أَكۡبَرُۚ قَدۡ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴿١١٨﴾ هَٰٓأَنتُمۡ أُوْلَآءِ تُحِبُّونَهُمۡ وَلَا يُحِبُّونَكُمۡ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱلۡكِتَٰبِ كُلِّهِۦ وَإِذَا لَقُوكُمۡ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوۡاْ عَضُّواْ عَلَيۡكُمُ ٱلۡأَنَامِلَ مِنَ ٱلۡغَيۡظِۚ قُلۡ مُوتُواْ بِغَيۡظِكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١١٩﴾ إِن تَمۡسَسۡكُمۡ حَسَنَةٞ تَسُؤۡهُمۡ وَإِن تُصِبۡكُمۡ سَيِّئَةٞ يَفۡرَحُواْ بِهَاۖ وَإِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمۡ كَيۡدُهُمۡ شَيۡـًٔاۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطٞ ﴾ [آل عمران:١١٨-١٢٠].

وأمَّـا الفرقة الثانيـة الصادة عن جمع الكلمـة فهم: مَنْ يرى ألَّا يقـف أي موقـف إلا مـع مَـنْ هو مثلـه في مبادئـه وقناعاته ومن ليس كذلك فهو مبتدع يسـلك به مسـالك أهل الضـلال والابتداع ويمنـع من الاقـتراب منه أو التعـاون معه وهذا المنهج يفـرِّق الأمَّة

ويَحُـولُ دونَ اجتماعها على ما ينفعها، وهو بذلك مخالفٌ لهَدْيِ النبيِّ ﷺ الـذي جمع أهـل المدينة حـين قدومه إليها من مسـلمين ويهـود ومشركين -كما صوَّرَتْهُ الوثيقة المشـهورة- وهي وإنْ كان في سـندها ضعف إلا أن هناك شـواهد تشـهدُ لها، وقد اعتمدها كتّابُ السـيرة وشرحها وعـدَّدَ فوائدَها عددٌ من العلـماء والباحثين[(١)]. كم أنه يخالف ما سبق نقله عن السلف وعلماء الأمة في المباحث السابقة.

وأمَّـا الفرقة الثالثة: فهم بعض متعصبة الأشـاعرة والماتريدية والمتصوفـة ومتعصبـة المذاهب الذين انطبع في أذهانهم تصور سـيئ عن السـلفيين بأنهم مُجَانِبُونَ لما عليه السـلف في الحقيقة، وبزعم أنهم معادون للأشعرية والماتريدية، وأنهم لا إمام لهم سوى ابن تيمية ومن اتبعـه ومحمد بن عبد الوهاب ومَنْ سـارَ على طريقه، ويغلو بعضُهم فيخرجهم من السنة ويرميهم بالابتداع ويعمِّمُ هؤلاء نموذج الفرقة الثانيـة عـلى جميع مخالفيهم، وظني أن عقـلاء الطوائف لا يوافقونهم على ذلك ولا يقرُّونهم عليه.

وكل تلـك الفرق الصادة عن توحيـد الكلمة ؛ مجانبة للصواب، مخالفة لما عليه أولو الألباب، قمينة أن تدخل تحت قوله تعالى: ﴿ إِنَّ

(١) ينظر: (ص١٣) هامش (٢) من هذا البحث.

﴿ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗا لَّسۡتَ مِنۡهُمۡ فِي شَيۡءٍۚ إِنَّمَآ أَمۡرُهُمۡ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ﴾ [الأنعام:١٥٩]، وتحت قوله تعالى: ﴿فَتَقَطَّعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡ زُبُرٗاۖ كُلُّ حِزۡبِۭ بِمَا لَدَيۡهِمۡ فَرِحُونَ﴾ [المؤمنون:٥٣].

ويحسن أن يذكّروا بقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمۡ فِئَةٗ فَٱثۡبُتُواْ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٤٥ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الأنفال: ٤٥، ٤٦].

ويجدر أن يحذّروا مما حذر منه النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما جاء في حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وفيه: «**لَا تَخْتَلِفُوا، فَإِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ اخْتَلَفُوا فَهَلَكُوا**»(١).

وأيضًا يذكّرون بحديث ثوبان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ اللهَ زَوَى لِي الأَرْضَ، فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا، وَإِنَّ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ مُلْكُهَا مَا زُوِيَ لِي مِنْهَا، وَأُعْطِيتُ الْكَنْزَيْنِ الأَحْمَرَ وَالأَبْيَضَ، وَإِنِّي سَأَلْتُ رَبِّي لِأُمَّتِي أَنْ لا يُهْلِكَهَا بِسَنَةٍ عَامَّةٍ، وَأَنْ**

(١) أخرجه البخاري، كتاب الخصومات، باب: ما يذكر في الأشخاص والخصومة بين المسلم واليهود (٣/ ١٢٠ برقم ٢٤١٠).

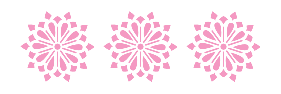


لَا يُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ، فَيَسْتَبِيحَ بَيْضَتَهُمْ، وَإِنَّ رَبِّي قَالَ: يَا مُحَمَّدُ إِنِّي إِذَا قَضَيْتُ قَضَاءً فَإِنَّهُ لَا يُرَدُّ، وَإِنِّي أَعْطَيْتُكَ لِأُمَّتِكَ أَنْ لَا أُهْلِكَهُمْ بِسَنَةٍ عَامَّةٍ، وَأَنْ لَا أُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ، يَسْتَبِيحُ بَيْضَتَهُمْ، وَلَوِ اجْتَمَعَ عَلَيْهِمْ مَنْ بِأَقْطَارِهَا -أَوْ قَالَ مَنْ بَيْنَ أَقْطَارِهَا- حَتَّى يَكُونَ بَعْضُهُمْ يُهْلِكُ بَعْضًا، وَيَسْبِي بَعْضُهُمْ بَعْضًا»[١].

فشَرْطُ ضمان المنع مِنْ تسلُّطِ الأعداء هو وحدة الأمة وعدم ظهور النزاع المؤدِّي إلى الاقتتال فيما بينها والتمادي في هذا العداء.

وتأليب كل طرف على الآخر مؤذنٌ بالدخول في فتنة يتحقق فيها ما حذر منه النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فعلى كل تلك الفرق أنْ تتَّقِي الله وتدع التعصب والهوى والإعجاب بالنفس فإنه من المهلكات وأنْ تلتزمَ العدل والإنصاف وأدب الخلاف وتغلِّب مصلحة الأمة العليا على جميع الاعتبارات.



(١) أخرجه مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب: هلاك هذه الأمة بعضهم ببعض (٤/ ٢٢١٥ برقم ٢٨٨٩).



وجوب العودة إلى ما كان عليه الحال قبل حدوث الفتنة

كان أهل السنة والحديث إلى زمن الإمام أحمد بن حنبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ شيئًا واحدًا، متفقة أصولهم ومناهجهم في تأصيل السنة والعقيدة وشرحها وبيانها وتبليغها للناس والدفاع عنها حين يهاجمها خصومهم من سائر فرق الضلال، وكذلك كان موقفهم في الرد على خصومهم وتفنيد شبهاتهم.

وفي زمن الإمام أحمد ظهر الإمام عبد الله بن سعيد بن كلاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ الذي كان يرد على متكلمي خصومهم بنفس طريقتهم في الجدل، وقد برع في ذلك ولكنه انشغل به عن علم الأثر وغلب عليه المنهج العقلي الذي ينطلق منه خصوم أهل السنة فوقع منه بعض الأخطاء؛ وبسبب ذلك نَفَرَ عنه وعن أصحابه الإمام أحمد وحذَّرَ من مسلكهم ذلك، ومن هنا بدأ الشرخ في صفوف أهل السنة وصاروا فئتين بعد أن كانوا فئة واحدة، وتميز أصحاب وأتباع بن كلاب باسم خاص بهم، فكان يقال لهم الكلابية، غير أنهم مع اختلافهم لم يكن بينهم النزاع المقيت الذي يقع بين فرق الضلال أو بين أهل السنة



وبين المبتدعة الضالين، ثم ظهر الإمام أبو الحسن الأشعري رَحِمَهُ ٱللَّهُ ومر بأطواره المعروفة حتى استقر على طريقة الإمام أحمد بن حنبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ كما ذكر ذلك في كتابه الإبانة، وكانوا رغم ما بينهم من خلاف لم يصل بهم الأمر إلى الفرقة والنزاع المقيت، وإن جرت بعض الوقائع التي سرعان ما يتجاوزونها.

نقل شيخ الإسلام ابن تيمية عن الإمام ابن عساكر رَحِمَهُمَا ٱللَّهُ مُقرًّا له، قال: «قَالَ أَبُو الْقَاسِمِ بْنُ عَسَاكِرَ فِي مَنَاقِبِهِ: مَا زَالَتْ الْحَنَابِلَةُ وَالْأَشَاعِرَةُ فِي قَدِيمِ الدَّهْرِ مُتَّفِقِينَ غَيْرَ مُفْتَرِقِينَ حَتَّى حَدَثَتْ فِتْنَةُ ابْنِ الْقشيريّ»(١).

وأكَّده بقوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وَالْأَشْعَرِيَّةُ فِيمَا يُثْبِتُونَهُ مِنْ السُّنَّةِ فَرْعٌ عَلَى الْحَنْبَلِيَّةِ كَمَا أَنَّ مُتَكَلِّمَةَ الْحَنْبَلِيَّةِ -فِيمَا يَحْتَجُّونَ بِهِ مِنْ الْقِيَاسِ الْعَقْلِيِّ- فَرْعٌ عَلَيْهِمْ؛ وَإِنَّمَا وَقَعَتْ الْفُرْقَةُ بِسَبَبِ فِتْنَةِ القشيري، وَلَا رَيْبَ أَنَّ الْأَشْعَرِيَّةَ الخراسانيين كَانُوا قَدْ انْحَرَفُوا إلى التَّعْطِيلِ، وَكَثِيرٌ مِنْ الْحَنْبَلِيَّةِ زَادُوا فِي الْإِثْبَاتِ»(٢).

---

(١) مجموع الفتاوى، ابن تيمية (٤/ ١٧).

(٢) مجموع الفتاوى (٦/ ٥٣ -٥٤).



قلت: وهذا هو العدل والإنصاف فما ذهب إليه الأشاعرة الخراسانيون لا يعمَّمُ على جميع الأشاعرة، وما ذهب إليه من زادوا في الإثبات من الحنابلة لا يعمَّمُ على جميعهم، وعلى كلِّ فريقٍ أنْ يحاورَ أصحابه ويناصحهم ويردَّهم عمَّا أخطأوا فيه.

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ مقرِّرًا موقفه مما يجري بين الطرفين: «وَالنَّاسُ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ كَانَ بَيْنَ الْحَنْبَلِيَّةِ وَالْأَشْعَرِيَّةِ وَحْشَةٌ وَمُنَافَرَةٌ -يقصد ما بعد فتنة ابن القشيري إلى وقته-، وَأَنَا كُنْت مِنْ أَعْظَمِ النَّاسِ تَأْلِيفًا لِقُلُوبِ الْمُسْلِمِينَ وَطَلَبًا لِاتِّفَاقِ كَلِمَتِهِمْ وَاتِّبَاعًا لِمَا أُمِرْنَا بِهِ مِنْ الِاعْتِصَامِ بِحَبْلِ اللهِ وَأَزَلْتُ عَامَّةَ مَا كَانَ فِي النُّفُوسِ مِنْ الْوَحْشَةِ»[(١)].

ثمَّ بين الثمرة التي ترتبت على سعيه في الصلح فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وَلَمَّا أَظْهَرْتُ كَلَامَ الْأَشْعَرِيِّ -وَرَآهُ الْحَنْبَلِيَّةُ قَالُوا: هَذَا خَيْرٌ مِنْ كَلَامِ الشَّيْخِ الْمُوَفَّقِ، وَفَرِحَ الْمُسْلِمُونَ بِاتِّفَاقِ الْكَلِمَةِ وَأَظْهَرْتُ ما ذَكَرَهُ ابْنُ عَسَاكِرَ فِي مَنَاقِبِهِ أَنَّهُ لَمْ تَزَلِ الْحَنَابِلَةُ وَالْأَشَاعِرَةُ مُتَّفِقِينَ إلى زَمَنِ القشيريِّ فَإِنَّهُ لَمَّا جَرَتْ تِلْكَ الفِتْنَةُ بِبَغْدَادَ تَفَرَّقَتِ الْكَلِمَةُ»[(٢)].

---

(١) المصدر السابق (٣/ ٢٢٧).

(٢) المصدر السابق (٣/ ٢٢٨-٢٢٩).



وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وَلِهَذَا اصْطَلَحَتْ الْحَنْبَلِيَّةُ وَالْأَشْعَرِيَّةُ، وَاتَّفَقَ النَّاسُ كُلُّهُمْ، وَلَمَّا رَأَى الْحَنْبَلِيَّةُ كَلَامَ أَبِي الْحَسَنِ الْأَشْعَرِيِّ قَالُوا: هَذَا خَيْرٌ مِنْ كَلَامِ الشَّيْخِ الْمُوَفَّقِ، وَزَالَ مَا كَانَ فِي الْقُلُوبِ مِنْ الْأَضْغَانِ وَصَارَ الْفُقَهَاءُ مِنْ الشَّافِعِيَّةِ وَغَيْرِهِمْ: يَقُولُونَ الْحَمْدُ للهِ عَلَى اتِّفَاقِ كَلِمَةِ الْمُسْلِمِينَ»[(١)].

هذا هو شيخ الإسلام ابن تيمية، الذي ليس لأحد من العلماء أكثر مما له من الردود على متكلمة الأشاعرة نجده يفرق بين واجب التأصيل العلمي وردّ ما يعتقده خطأً مما عند أولئك المتكلمين وبين ما توجبه أخوة الإسلام وقاعدة اجتماع الكلمة وواجب إصلاح ذات البين.

وعندما يقول ابن عساكر: «مَا زَالَتِ الْحَنَابِلَةُ وَالْأَشَاعِرَةُ فِي قَدِيمِ الدَّهْرِ مُتَّفِقِينَ غَيْرَ مُفْتَرِقِينَ حَتَّى حَدَثَتْ فِتْنَةُ ابْنِ القشيري»، وينقل ذلك عنه ابن تيمية مقرًّا له فإنهما لا يعنيان أنه لا يوجد بينهم خلافٌ علميٌّ في مسائل علمية أو عملية فذلك أظهر من أن يخفى على الطالب المبتدي، فكيف بهما وإنما مرادهما أنهم كانوا متفقين من حيث عدم الصراع والتنازع المذموم وعدم طعن بعضهما في بعض؟

(١) المصدر السابق (٣/ ٢٦٩).







وهذا ما نسعى إلى تحقيقه من خلال ندائنا هذا.

ومما يؤكِّد أنَّ الزجر عن التنازع بين أهل السنة والجماعة بسبب الخلاف العلميّ موقف ثابت لشيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ ما جاء فِي رِسَالَتِهِ إلى أَهْلِ الْبَحْرَيْنِ حيث قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وَالَّذِي أَوْجَبَ هَذَا أَنَّ وَفْدَكُمْ حَدَّثُونَا بِأَشْيَاءَ مِنْ الْفُرْقَةِ وَالِاخْتِلَافِ بَيْنَكُمْ حَتَّى ذَكَرُوا أَنَّ الْأَمْرَ آلَ إلَى قَرِيبِ الْمُقَاتَلَةِ، وَذَكَرُوا أَنَّ سَبَبَ ذَلِكَ الِاخْتِلَافُ فِي رُؤْيَةِ الْكُفَّارِ رَبَّهُمْ وَمَا كُنَّا نَظُنُّ أَنَّ الْأَمْرَ يَبْلُغُ بِهَذِهِ الْمَسْأَلَةِ إلَى هَذَا الْحَدِّ فَالْأَمْرُ فِي ذَلِكَ خَفِيفٌ»(١).

ثم تكلم عن المسألة التي اختلفوا من أجلها إلى أن قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فَبِالْجُمْلَةِ فَلَيْسَ مَقْصُودِي بِهَذِهِ الرِّسَالَةِ الْكَلَامَ الْمُسْتَوْفِي لِهَذِهِ الْمَسْأَلَةِ فَإِنَّ الْعِلْمَ كَثِيرٌ، وَإِنَّمَا الْغَرَضُ بَيَانُ أَنَّ هَذِهِ الْمَسْأَلَةَ لَيْسَتْ مِنْ الْمُهِمَّاتِ الَّتِي يَنْبَغِي كَثْرَةُ الْكَلَامِ فِيهَا وَإِيقَاعُ ذَلِكَ إلَى الْعَامَّةِ وَالْخَاصَّةِ حَتَّى يَبْقَى شِعَارًا وَيُوجِبَ تَفْرِيقَ الْقُلُوبِ وَتَشَتُّتَ الْأَهْوَاءِ وَلَيْسَتْ هَذِهِ الْمَسْأَلَةُ فِيمَا عَلِمْت مِمَّا يُوجِبُ الْمُهَاجَرَةَ وَالْمُقَاطَعَةَ فَإِنَّ الَّذِينَ تَكَلَّمُوا فِيهَا قَبْلَنَا عَامَّتُهُمْ أَهْلُ سُنَّةٍ وَاتِّبَاعٍ وَقَدْ اخْتَلَفَ فِيهَا مَنْ لَمْ يتهاجروا وَيَتَقَاطَعُوا كَمَا اخْتَلَفَ الصَّحَابَةُ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَالنَّاسُ بَعْدَهُمْ فِي رُؤْيَةِ

(١) مجموع الفتاوى (٦/ ٤٨٥).





النَّبِـيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَبَّـهُ فِي الدُّنْيَـا وَقَالُـوا فِيهَا كَلِمَاتٍ غَلِيظَـةً كَقَوْلِ أُمِّ الْمُؤْمِنِـينَ عَائِشَـةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: مَـنْ زَعَـمَ أَنَّ مُحَمَّدًا رَأَى رَبَّـهُ فَقَدْ أَعْظَمَ عَـلَى اللهِ الْفِرْيَة، وَمَعَ هَذَا فَـمَا أَوْجَبَ هَذَا النِّزَاعُ تَهَاجُـرًا وَلَا تَقَاطُعًا وَكَذَلِكَ نَاظَرَ الْإِمَامُ أَحْمَد أَقْوَامًا مِنْ أَهْلِ السُّـنَّةِ فِي مَسْـأَلَةِ الشَّـهَادَةِ لِلْعَـشَرَةِ بِالْجَنَّـةِ حَتَّى آلَتْ الْمُنَاظَرَةُ إلَى ارْتِفَـاعِ الْأَصْوَاتِ وَكَانَ أَحْمَدُ وَغَيْرُهُ يَرَوْنَ الشَّـهَادَةَ وَلَمْ يَهْجُرُوا مَنِ امْتَنَعَ مِنْ الشَّـهَادَةِ إلَى مَسَـائِلَ نَظِيرِ هَذِهِ كَثِيرَةٍ وَالْمُخْتَلِفُونَ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ أعذر مِنْ غَيْرِهِمْ»[١].

ثم قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَهُنَا آدَابٌ تَجِبُ مُرَاعَاتُهَا:

مِنْهَا: أَنَّ مَنْ سَـكَتَ عَنْ الْكَلَامِ فِي هَذِهِ الْمَسْـأَلَةِ وَلَمْ يَدْعُ إلَى شَيْءٍ فَإِنَّـهُ لَا يَحِلُّ هَجْرُهُ وَإِنْ كَانَ يَعْتَقِدُ أَحَـدَ الطَّرَفَيْنِ فَإِنَّ الْبِدَعَ الَّتِي هِيَ أَعْظَمُ مِنْهَا لَا يُهْجَرُ فِيهَا إلَّا الدَّاعِيَةُ دُونَ السَّاكِتِ فَهَذِهِ أَوْلَى.

وَمِـنْ ذَلِـكَ: أَنَّـهُ لَا يَنْبَغِي لِأَهْـلِ الْعِلْـمِ أَنْ يَجْعَلُوا هَذِهِ الْمَسْـأَلَةَ مِحْنَةً وَشِـعَارًا يُفَضِّلُونَ بِهَا بَيْنَ إخْوَانِهِـمْ وَأَضْدَادِهِمْ فَإِنَّ مِثْلَ هَذَا مِمَّا يَكْرَهُـهُ اللهُ وَرَسُـولُهُ، وَكَذَلِكَ لَا يُفَاتِحُوا فِيهَا عَوَامَّ الْمُسْـلِمِينَ الَّذِينَ هُمْ فِي عَافِيَةٍ وَسَـلَامٍ عَنْ الْفِتَنِ وَلَكِنْ إذا سُئِلَ الرَّجُلُ عَنْهَا أَوْ رَأَى مَنْ هُوَ أَهْلٌ لِتَعْرِيفِهِ ذَلِكَ أَلْقَى إليه مِمَّا عِنْدَهُ مِنْ الْعِلْمِ مَا يَرْجُو النَّفْعَ

(١) مجموع الفتاوى (٦/ ٥٠٢).



بِـهِ بِخِـلَافِ الْإِيمَانِ بِـأَنَّ الْمُؤْمِنِينَ يَـرَوْنَ رَبَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ فَـإِنَّ الْإِيمَانَ بِذَلِكَ فَرْضٌ وَاجِبٌ لِمَا قَدْ تَوَاتَرَ فِيهَا عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَصَحَابَتِهِ وَسَلَفِ الْأُمَّةِ»[(١)].

ثـم قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «فَكَذَلِكَ هُنَا لَوْ قَالَ: مَا مِنْ أَحَدٍ إلَّا سَـيَخْلُو بِهِ رَبُّـهُ وَلَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَـهُ حَاجِبٌ وَلَا تُرْجُمَانٌ، أَوْ قَـالَ: إنَّ النَّاسَ كُلَّهُمْ يُحْشَرُونَ إلى اللهِ فَيَنْظُـرُ إليهـمْ وَيَنْظُرُونَ إليـه كَانَ هَذَا اللَّفْـظُ مُخَالِفًا فِي الْإِيهَـامِ لِلَّفْظِ الْأَوَّلِ، فَـلَا يَخْرُجَنَّ أَحَدٌ عَنْ الْأَلْفَـاظِ الْمَأْثُورَةِ وَإِنْ كَانَ قَـدْ يَقَـعُ تَنَازُعٌ فِي بَعْـضِ مَعْنَاهَا فَإِنَّ هَذَا الْأَمْرَ لَا بُـدَّ مِنْهُ فَالْأَمْرُ كَـمَا قَـدْ أَخْبَرَ بِهِ نَبِيُّنَـا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَالْخَيْرُ كُلُّ الْخَيْرِ فِي اتِّبَاعِ السَّـلَفِ الصَّالِـحِ وَالِاسْـتِكْثَارِ مِـنْ مَعْرِفَـةِ حَدِيـثِ رَسُـولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالتَّفَقُّـهِ فِيـهِ وَالِاعْتِصَـامِ بِحَبْـلِ اللهِ وَمُلَازَمَةِ مَـا يَدْعُـو إلى الْجَمَاعَةِ وَالْأُلْفَـةِ وَمُجَانَبَةِ مَـا يَدْعُو إلى الْخِلَافِ وَالْفُرْقَـةِ إلَّا أَنْ يَكُونَ أَمْرًا بَيِّنًا قَدْ أَمَرَ اللهُ وَرَسُـولُهُ فِيـهِ بِأَمْرٍ مِنْ الْمُجَانَبَةِ فَعَلَى الـرَّأْسِ وَالْعَيْنِ، وَأَمَّا إذا اشْتَبَهَ الْأَمْرُ هَلْ هَذَا الْقَوْلُ أَوْ الْفِعْلُ مِمَّا يُعَاقَبُ صَاحِبُهُ عَلَيْهِ أَوْ مَا لَا يُعَاقَبُ؟ فَالْوَاجِبُ تَـرْكُ الْعُقُوبَةِ لِقَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«ادْرَءُوا الْحُدُودَ بِالشُّـبُهَاتِ، فَإِنَّكَ إنْ تُخْطِئْ فِي الْعَفْوِ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تُخْطِئَ فِي**

(١) المصدر السابق (٦/ ٥٠٣-٥٠٤).





الْعُقُوبَةِ»[(١)]، وَلاَ سِيَّمَا إذا آلَ الأَمْرُ إلى شرٍّ طَوِيلٍ وَافْتِرَاقِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ فَإِنَّ الْفَسَادَ النَّاشِئَ فِي هَذِهِ الْفُرْقَةِ أَضْعَافُ الشَّرِّ النَّاشِئِ مِنْ خَطَأِ نَفَرٍ قَلِيلٍ فِي مَسْأَلَةٍ فَرْعِيَّةٍ، وَإذا اشْتَبَهَ عَلَى الْإِنْسَانِ أَمْرٌ فَلْيَدْعُ بِمَا رَوَاهُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا قَامَ إلى الصَّلاَةِ [من الليل] يَقُولُ: «**اللَّهُمَّ رَبَّ جبرائيل وميكائيل وَإِسْرَافِيلَ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِك فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ اهْدِنِي لِمَا اُخْتُلِفَ فِيهِ مِنْ الْحَقِّ بِإِذْنِك إنَّك تَهْدِي مَنْ تَشَاءُ إلى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ**»[(٢)].

وَبَعْدَ هَذَا: فَأَسْأَلُ اللهَ الْعَظِيمَ رَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ أَنْ يُوَفِّقَنَا وَإِيَّاكُمْ لِمَا يُحِبُّهُ وَيَرْضَاهُ مِنْ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ وَيَرْزُقَنَا اتِّبَاعَ هَدْيِ نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَاطِنًا وَظَاهِرًا وَيَجْمَعَ عَلَى الْهُدَى شَمْلَنَا وَيَقْرِنَ بِالتَّوْفِيقِ أَمْرَنَا وَيَجْعَلَ قُلُوبَنَا عَلَى قَلْبِ خِيَارِنَا وَيَعْصِمَنَا مِنْ الشَّيْطَانِ وَيُعِيذَنَا

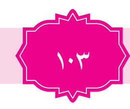
---

(١) رَوَاهُ أَبُو دَاوُد لم أعثر عليه في سنن أبي داود، وإنما أخرجه الترمذي، في كتاب الحدود، باب: ما جاء في درء الحدود (٤/ ٣٣ برقم ١٤٢٤)، والحاكم في المستدرك (٤/ ٤٢٦ برقم٨١٦٣)، وفي إسناده يزيد بن زياد الدمشقي: متروك، وضعف الحديث الألباني في إرواء الغليل (٨/ ٢٥ برقم ٢٣٥٥).

(٢) صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب: الدعاء في صلاة الليل وقيامه (١/ ٥٣٤ برقم ٧٧٠).

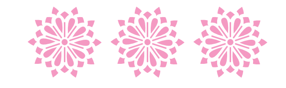






مِـنْ شُرُورِ أَنْفُسِـنَا وَمِـنْ سَـيِّئَاتِ أَعْمَالِنَـا. وَقَـدْ كَتَبْت هَـذَا الْكِتَابَ وَتَحَرَّيْت فِيهِ الرُّشْـدَ وَمَا أُرِيدُ إلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْـتَطَعْت وَمَا تَوْفِيقِي إلَّا بِاللَّهِ وَمَعَ هَذَا فَلَمْ أُحِطْ عِلْمًا بِحَقِيقَةِ مَا بَيْنَكُمْ وَلَا بِكَيْفِيَّةِ أُمُورِكُمْ وَإِنَّـمَا كَتَبْت عَلَى حَسَـبِ مَا فَهِمْت مِـنْ كَلَامِ مَنْ حَدَّثَنِـي وَالْمَقْصُودُ الْأَكْبَرُ إنَّمَا هُوَ إصْلَاحُ ذَاتِ بَيْنِكُمْ وَتَأْلِيفُ قُلُوبِكُمْ» انتهى[(١)].

وهـذا ميـزان عدل من الـضرورة بمكان أنْ نزن بـه مواقفنا من بعضنـا وأحـكام كلٍ مِنَّا عـلى إخوانه وطريق رشـد نحـنُ أحْوَجُ ما نكـون لسـلوكه وهـو مُوَجَّـهٌ إلى مَـنْ أشرْتُ إليهـم وإلى جميع فئات الأمة.



(١) مجموع الفتاوى (٦/ ٥٠٥-٥٠٦).



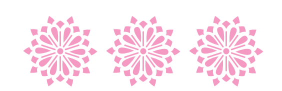
العمل على توحيد المواقف
لا يلزم منه التنازل عن المبادئ

هنـاك مَنْ يـرى أنَّ اتحادَنا في المواقف يقتـضي التنازل عن مبادئنا والتخلِّي عن قناعاتنا وإقرارنا أن كل طائفة من طوائف الأمة مصيبة فيـما ذهبـت إليه فتراه يُنْكِرُ أن يُنْكِرَ أحدٌ ما يعتقدُ أنه خطأٌ ولو قامت الأدلة على خطئه خطأً لا تأويل سـائغًا له أو يقرِّر ما يرى صحته من المسـائل العلميـة دون إثـارةٍ أو لمزٍ لمـن يخالفه والأدهـى من ذلك أن يجامل المخالفين ويهـون مخالفتهم وربما صحح ما يذهبون إليه وهذا تنازل غير محمود وليس من لوازم جمع الكلمة.

ولـو أنـه رغّـبَ في تـرك بعـض المسـتحبَّات التـي تنفِّـر بعـض المجتمعـين ممـا لا يُعَدُّ تركه تركًا للسـنة ولا ركوبًـا للبدعة فإنَّ ذلك له أصل فقـد بوَّب البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (باب مَنْ تَـرَكَ بَعْضَ الِاخْتِيَارِ مَخَافَةَ أَنْ يَقْصُرَ فَهْمُ بَعْضِ النَّاسِ عَنْهُ فَيَقَعُوا فِي أَشَدَّ مِنْه)، وذكر تحته حديث عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا: قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يَا عَائِشَةُ لَوْلاَ قَوْمُكِ**

حَدِيثٌ عَهْدُهُمْ - قَالَ ابْنُ الزُّبَيْرِ - بِكُفْرٍ، لَنَقَضْتُ الكَعْبَةَ فَجَعَلْتُ لَهَا بَابَيْنِ: بَابٌ يَدْخُلُ النَّاسُ وَبَابٌ يَخْرُجُونَ»(١).

قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وَيُسْتَحَبُّ لِلرَّجُلِ أَنْ يَقْصِدَ إلَى تَأْلِيفِ الْقُلُوبِ بِتَرْكِ هَذِهِ الْمُسْتَحَبَّاتِ لِأَنَّ مَصْلَحَةَ التَّأْلِيفِ فِي الدِّينِ أَعْظَمُ مِنْ مَصْلَحَةِ فِعْلِ مِثْلِ هَذَا كَمَا تَرَكَ النَّبِيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ تَغْيِيرَ بِنَاءِ الْبَيْتِ لِمَا فِي إبْقَائِهِ مِنْ تَأْلِيفِ الْقُلُوبِ، وَكَمَا أَنْكَرَ ابْنُ مَسْعُودٍ عَلَى عُثْمَانَ إتْمَامَ الصَّلَاةِ فِي السَّفَرِ ثُمَّ صَلَّى خَلْفَهُ مُتِمًّا وَقَالَ الْخِلَافُ شَرٌّ»(٢).

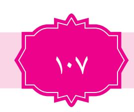


---

(١) صحيح البخاري، (١/ ٣٧ برقم ١٢٦).
(٢) مجموع الفتاوى، ابن تيمية (٢٢/ ٤٠٧).





المبحث السادس

قواعد التعامل مع المخالف من أهل السنة

وهنا سأذكر بعض القواعد في التعامل مع المخالف من المنتسبين للسنة وبعضها تصلح لغيره ولكنه هو المقصود بالأصالة.

والمخالف الذي نعنيه هنا هو: مَنْ كان من أهل السنة الذين لا يُغْمَصُونَ ببدعة مغلَّظة، فردًا كان أو جماعة إذا وقع منه ما يوجب نصحه أو نقده أو تأديبه أو حتى إقامة الحد عليه، فلابأس من ذلك كله بضوابطه الشرعية وفق القواعد الآتية:

القاعدة الأولى: التثبُّت من وقوع تلك المخالفة:

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ ﴾ [الحُجُرات:٦].

هذه الآية أصل في التثبت من الأخبار من حيث صحتها أو عدم صحتها وكذا دعاوى الناس على بعضهم وعدم التسرع في الحكم عليهم قبل التثبت من صحة صدور ذلك منهم.





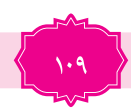
وقال الله تعالى محذرًا من الاستعجال في الحكم على المخالف قبل التثبُّت من حقيقة حاله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبۡتُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ وَلَا تَقُولُواْ لِمَنۡ أَلۡقَىٰٓ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسۡتَ مُؤۡمِنٗا تَبۡتَغُونَ عَرَضَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٞۚ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبۡلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ فَتَبَيَّنُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا ﴾ [النساء:٩٤].

القاعدة الثانية: أن يُسْتَصحبَ حُسْنُ الظنِّ بالمُتَّهَمِ حتى يثبت ما يزيله من اليقين:

قال تعالى معاتبًا مَنْ سارع في تصديق ما رُمِيَتْ به عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهَا: ﴿ لَّوۡلَآ إِذۡ سَمِعۡتُمُوهُ ظَنَّ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمۡ خَيۡرٗا وَقَالُواْ هَٰذَآ إِفۡكٞ مُّبِينٞ ﴿١٢﴾ لَّوۡلَا جَآءُو عَلَيۡهِ بِأَرۡبَعَةِ شُهَدَآءَۚ فَإِذۡ لَمۡ يَأۡتُواْ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُوْلَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡكَٰذِبُونَ ﴿١٣﴾ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ لَمَسَّكُمۡ فِي مَآ أَفَضۡتُمۡ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾ إِذۡ تَلَقَّوۡنَهُۥ بِأَلۡسِنَتِكُمۡ وَتَقُولُونَ بِأَفۡوَاهِكُم مَّا لَيۡسَ لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞ وَتَحۡسَبُونَهُۥ هَيِّنٗا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٞ ﴿١٥﴾ وَلَوۡلَآ إِذۡ سَمِعۡتُمُوهُ قُلۡتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبۡحَٰنَكَ هَٰذَا بُهۡتَٰنٌ عَظِيمٞ ﴿١٦﴾ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُواْ لِمِثۡلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾ [النور:١٢-١٧]، وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ







كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ۖ وَلَا تَجَسَّسُوا۟ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحُجُرات:١٢].

القاعدة الثالثة: التفريق بين المتأول الصادق وبين المعاند ومن يجعل التأويل سترًا لمآربه الخبيثة:

وهذه القاعدة مهمة جدًّا وواجب مراعاتها، ونحن بصدد السعي لتوحيد مواقف أهل السنة، فالخطأ وارد ومتوقع من الجميع، وإذا كانت الأخطاء الصادرة عن اجتهاد وتأويل سائغ ستفرقنا وتحول دون توحيد مواقفنا، فلن نصل إلى تحقيق هدفنا أبداً؛ لذا يجب علينا مراعاة هذه القاعدة، فلا نلغي العذر بالتأويل السائغ.

قال الخطابي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في شرح حديث حاطب بن بلتعة المتقدم: (قلت في هذا الحديث من الفقه إن حكم المتأول في استباحة المحظور عليه خلاف حكم المتعمد لاستحلاله من غير تأويل.

وفيه أنه إذا تعاطى شيئًا من المحظور وادعى أمرًا مما يحتمله التأويل كان القول قوله في ذلك وإن كان غالب الظن بخلافه، ألا ترى أن الأمر لما احتمل وأمكن أن يكون كما قال حاطب وأمكن أن







يكون كما قاله عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ استعمل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حسن الظن في أمره وقبل ما ادعاه في قوله)[١] وفي نفس الوقت لا نفتح الباب لكل زاعمٍ أنه متأولٌ، فقد كشف الله حقيقة المنافقين الذين زعموا أن لهم فيما اقترفوه من جرم الاستهزاء بالرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وخيار صحابته تأويلاً؛ وهو الخوض واللعب ليقطعوا به الطريق وكَذَّبَهُمْ فيما يقولون وبين ما ترتب على استهزائهم فقال: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةًۢ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴾ [التوبة:٦٥-٦٦].

إذن فلا يجوز أن نلغي كل تأويل ولا نفتح الباب لكل مدعٍ فـ«كِلَا طَرَفَيْ قَصْدِ الأُمورِ ذَمِيمُ»[٢].

---

(١) معالم السنن: طبع المطبعة العلمية - حلب/ الطبعة: الأولى ١٣٥١هـ- ١٩٣٢م.

(٢) عجز بيت، في خزانة الأدب غير منسوب لقائل (٢/ ١٢٢) وتمامه:

ولا تغل في شيء من الأمر واقتصد ... كلا طرفي قصد الأمور ذميمُ

وقبله:

وأوفِ ولا تستوفِ حقك كله ... وسامح فلم يستوف قط كريمُ



القاعدة الرابعة: إذا ثبتتْ مخالفةُ فردٍ أو جماعةٍ وجب على البقية أو مَـنْ يمثِّلهم من الوُلاة أو العلماء أنْ يبادروهم بالنصيحة التي هي لُبُّ دين الإسلام وخلاصته.

ففي حديث تميم الداري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**الدِّيـنُ النَّصِيحَـةُ**» قُلْنَا: لِمَنْ؟ قَـالَ: «**لِلهِ وَلِكِتَابِـهِ وَلِرَسُـولِهِ وَلأَئِمَّةِ المُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ**»(١).

وكان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يبايـع أصحابـه عليهـا، ففـي الصَّحيحين من حديـث جرير بن عبـد الله البجليِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قـال: «بَايَعْتُ رَسُـولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَـلَى إِقَـامِ الصَّـلاَةِ، وَإِيتَـاءِ الـزَّكَاةِ، وَالنُّصْـحِ لِـكُلِّ مُسْـلِمٍ»(٢)، وقـال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «بَايَعْـتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَىَ السَّـمْعِ وَالطَّاعَةِ، فَلَقَّنَنِي: «**فِيمَا اسْتَطَعْتُ، وَالنُّصْحِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ**»(٣).

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب: بيان أن الدِّين النصيحة (١/ ٧٤ برقم٥٥).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الإيمان، باب:قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**الدين النصيحة: لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم**» (١/ ٢١ برقم ٥٧)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب بيان أن الدين النصيحة (١/ ٧٥ برقم ٥٦).

(٣) أخرجـه البخاري، كتاب الأحـكام، باب: كيف يبايع الإمام الناس باب بيان أن الديـن النصيحـة (٩/ ٧٧ برقم ٧٢٠٤)، ومسـلم، كتاب الإيـمان، باب بيان أن الدين النصيحة (١/ ٧٥ برقم ٥٦).



وفي رواية قال جريرٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَمَّا بَعْدُ، فَإِنِّي أَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قُلْتُ: أُبَايِعُكَ عَلَى الْإِسْلَامِ، فَشَرَطَ عَلَيَّ: «**وَالنُّصْحِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ**»(١).

القاعدة الخامسة: أن يستعمل التورية في النصيحة بحيث تحقق هدفها دون أن يُجْرَحَ خاطرُ المنصوحِ.

فعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: «كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا بَلَغَهُ عَنِ الرَّجُلِ الشَّيْءُ لَمْ يَقُلْ: مَا بَالُ فُلَانٍ يَقُولُ؟ وَلَكِنْ يَقُولُ: **مَا بَالُ أَقْوَامٍ يَقُولُونَ كَذَا وَكَذَا؟**»(٢).

وعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (أَنَّ نَفَرًا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَأَلُوا أَزْوَاجَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ عَمَلِهِ فِي السِّرِّ؟ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَا أَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَا آكُلُ اللَّحْمَ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَا أَنَامُ عَلَى فِرَاشٍ، فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ. فَقَالَ: «**مَا بَالُ أَقْوَامٍ قَالُوا**

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الإيمان، باب: قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**الدين النصيحة: لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم**» (١/ ٢١ برقم ٥٨).

(٢) أخرجه أبو داود، كتاب الأدب، باب: في حسن العشرة (٤/ ٢٥٠ برقم ٤٧٨٨)، والطحاوي في شرح معاني الآثار (١٥/ ١١٤ برقم ٥٨٨١)، والبيهقي في شعب الإيمان (١٠/ ٤٢٧ برقم ٧٧٤٥)، وصحَّحه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٥/ ٩٧ برقم ٢٠٦٤).



كَـذَا وَكَـذَا؟ لَكِنِّي أُصَلِّي وَأَنَامُ، وَأَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَـاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي»[(١)].

قـال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: (قوله: (إن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَمِدَ اللهَ تعالى وَأَثْنَى عَلَيْهِ فَقَالَ: مَا بَالُ أَقْوَامٍ قَالُوا كَذَا وَكَذَا) هُوَ مُوَافِقٌ لِلْمَعْرُوفِ مِـنْ خُطَبِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي مِثْلِ هَـذَا أَنَّهُ إذا كَرِهَ شَـيْئًا فَخَطَبَ لَهُ ذَكَرَ كَرَاهِيَتَـهُ وَلَا يُعَـيِّنُ فَاعِلَه، وهـذا مِنْ عَظِيمِ خُلُقِـهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَإِنَّ الْمَقْصُـودَ مِنْ ذَلِكَ الشَّـخْصُ وَجَمِيـعُ الْحَاضِرِينَ وَغَيْرُهُمْ مِمَّـنْ يَبْلُغُهُ ذَلِكَ، وَلَا يَحْصُلُ تَوْبِيخُ صَاحِبِهِ فِي الْمَلَأِ)[(٢)].

وقـد تكرَّر هذا الأسـلوب كثـيرًا في نصيحته ممَّا يؤكِّـدُ أنَّه منهجٌ متَّبَعٌ، لا مجرَّدَ واقعةُ عينٍ لا عُمُوْمَ لها.

القاعـدة السادسـة: السـؤال عـن الدافع له عـلى ارتكاب تلك المخالفة إن اسـتوجبَ حالُه السـؤالَ ليُعْذَرَ إنْ كانَ له عُذْرٌ أو تجري عليـه الأحـكام بعـد إقناعه بخطئـه، كما فعل النبـيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مع كعب بن مالـك وصاحبيه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وكذلك فعل مع حاطبِ ابْنِ أبي بلتعة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مع عظيم الخطأ الذي ارتكبه.

---

(١) رواه مسلم بشرح النووي (٩/ ١٧٦).
(٢) شرح النووي على مسلم (٩/ ١٧٦).



وكلا القصَّتَيْنِ فيهما السؤال عن العذر وحيث لم يكنْ للثلاثة المتخلِّفين عن الغزو عذرٌ أجرى عليهم الحكم وهو الهجر بينما ذنبهم أخفُّ من ذنب حاطب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

ولمَّا كان لحاطب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عذرٌ لمْ يُؤَاخِذْهُ رغمَ أنَّ ذنبه أعظم والمراد ألا يُغْفَلَ هذا الجانب المهمُّ حين ننصح أو نعاتب أو نحاكم مَنْ أخطأ من إخواننا.

القاعدة السابعة: خطأ المخطئ أو وقوعه في زللٍ أو معصيةٍ لا يلغي سائر محاسنه، فعَنْ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ، (أَنَّ رَجُلًا عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ اسْمُهُ عَبْدَ اللهِ، وَكَانَ يُلَقَّبُ حِمَارًا وَكَانَ يُضْحِكُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَكَانَ النَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ جَلَدَهُ فِي الشَّرَابِ، فَأُتِيَ بِهِ يَوْمًا فَأَمَرَ بِهِ فَجُلِدَ فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ القَوْمِ: اللَّهُمَّ العَنْهُ مَا أَكْثَرَ مَا يُؤْتَى بِهِ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لاَ تَلْعَنُوهُ، فَوَاللهِ مَا عَلِمْتُ إِنَّهُ يُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ**»)[١].

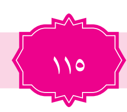
قال الحافظ: (وَفِيهِ أَنْ لَا تَنَافِيَ بَيْنَ ارْتِكَابِ النَّهْيِ وَثُبُوتِ مَحَبَّةِ اللهِ وَرَسُولِهِ فِي قَلْبِ الْمُرْتَكِبِ، لِأَنَّهُ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَخْبَرَ بِأَنَّ المَذْكُورَ يُحِبُّ

---

(١) البخاري مع الفتح (١٢/ ٧٦) رقم الحديث (٦٧٨٠).







اللهَ وَرَسُولَهُ مَعَ وُجُودِ مَا صَدَرَ مِنْهُ وَأَنَّ مَنْ تَكَرَّرَتْ مِنْهُ المَعْصِيَةُ لا تُنْزَعُ مِنْهُ مَحَبَّةُ اللهِ وَرَسُولِهِ)[١] وانظر هذه الصورة المشرقة من تطبيق هذه القاعدة عند شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَسَمِعْتُ الشَّيْخَ تَقِيَّ الدِّينِ يَذْكُرُ مَا كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ السُّلْطَانِ مِنَ الْكَلَامِ لَمَّا انْفَرَدَا فِي ذَلِكَ الشُّبَّاكِ الَّذِي جَلَسَا فِيهِ، وَأَنَّ السُّلْطَانَ اسْتَفْتَى الشَّيْخَ فِي قَتْلِ بَعْضِ الْقُضَاةِ بِسَبَبِ مَا كَانُوا تَكَلَّمُوا فِيهِ، وَأَخْرَجَ لَهُ فَتَاوَى بَعْضِهِمْ بِعَزْلِهِ مِنَ الْمُلْكِ وَمُبَايَعَةِ الْجَاشْنكِيرِ، وَأَنَّهُمْ قَامُوا عَلَيْكَ وَآذَوْكَ أَنْتَ أَيْضًا، وَأَخَذَ يَحُثُّهُ بِذَلِكَ عَلَى أَنْ يُفْتِيَهُ فِي قَتْلِ بَعْضِهِمْ، وَإِنَّمَا كَانَ حَنَقُهُ عَلَيْهِمْ بِسَبَبِ مَا كَانُوا سَعَوْا فِيهِ مِنْ عَزْلِهِ وَمُبَايَعَةِ الْجَاشْنكِيرِ، فَفَهِمَ الشَّيْخُ مُرَادَ السُّلْطَانِ فَأَخَذَ فِي تَعْظِيمِ الْقُضَاةِ وَالْعُلَمَاءِ، وَيُنْكِرُ أَنْ ينال أحد منهم بسوء، وَقَالَ لَهُ: إذا قَتَلْتَ هَؤُلَاءِ لَا تَجِدُ بِعْدَهُمْ مِثْلَهُمْ، فَقَالَ لَهُ إِنَّهُمْ قَدْ آذَوْكَ وَأَرَادُوا قَتْلَكَ مِرَارًا، فَقَالَ الشَّيْخُ مَنْ آذَانِي فَهُوَ فِي حِلٍّ، وَمَنْ آذَى اللهَ وَرَسُولَهُ فَاللهُ يَنْتَقِمُ مِنْهُ، وَأَنَا لَا أَنْتَصِرُ لِنَفْسِي، وَمَا زَالَ بِهِ حَتَّى حَلُمَ عَنْهُمُ السُّلْطَانُ وَصَفَحَ.

(١) فتح الباري (١٢/ ٧٨).





قَـالَ: وَكَانَ قَـاضِي المَالِكِيَّةِ ابْنُ مَخْلُـوفٍ يَقُولُ: مَا رَأَيْنَـا مِثْلَ ابْنِ تَيْمِيَّـةَ حَرَّضْنَـا عَلَيْهِ فَلَمْ نَقْدِرْ عَلَيْهِ وَقَدَرَ عَلَيْنَـا فَصَفَحَ عَنَّا وَحَاجَجَ عَنَّا)[١].

القاعدة الثامنة: حِوَارُهُ إِنْ كانَ خطؤُه ناتجًا عنْ جَهْلٍ أو تأويلٍ أو تقليدٍ لِمَنْ أخطأ في المسألة.

فـ«الحِـوَارُ هو الطريقُ الوحيدُ الـذي من خلاله يتمُّ الوُصُوْلُ إلى إقنـاعِ المُخَالِفِ بالفكـرة الصحيحة إذا لم يكـنْ صاحبُ هَوًى، ومن خلاله يَصِلُ المُتَحَاوِرَانِ إلى قلبَيْ بعضهما فيُذْعِنَانِ للحقِّ.

وهـو الأسـلوب الأمثـل للتواصـل والتفاهـم والتخاطـب بين الناس وهو الوسـيلة المُثْلَى التي من خلالها يتعارف الناس ويتآلفون، فـلا ينبغي أنْ يتعامـلَ النَّاسُ بغير الحِـوَارِ البَنَّاءِ لتقرير مـا يَرَوْنَهُ مِنْ أفكارٍ ومُعتقداتٍ ومبادئ.

وهـو المنهـج الأصـوب لتفـادي الحـروب والكـوارث، فلـولا التحاوُرُ العقلانيُّ لكَثُرَت الحروب واقتتل الناس فيما بينهم ولَهَاجَتْ أفعـالُ الجاهلية، وحرب البَسُـوسِ خيرُ شـاهدٍ على ذلـك، فبعد أن

---

(١) البداية والنهاية طبع دار الفكر (١٤/ ٥٤).



اقتتلـتْ قبيلتـا داحس والغبراء مدَّة أربعين سـنة كاملـة لم ينتجْ عنها إلا الدماء والقتل والتنكيل، فلمَّا جلَسُـوا للتحاور الهادئ أصلح الله بينهم، ولو جلسـوا للحوار قبل بدء الحرب لَمَا وصلوا إلى ما وصلوا إليه من القتال»[١].

القاعدة التاسعة: إعْذَارُه إنْ كانَ له عُذْرٌ مقبول:

كـما فعل النبـيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ مع حاطـب رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ حيث سـأله ما حملـك على مـا فعلت؟ فبيَّنَ عُـذْرَهُ فعـذره صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ ومن مجموع قصـص (حاطـب) و(ماعـز) و(الغامديـة) نسـتنتج أن الرسـول صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ كان حريصًـا عـلى أنْ يكـونَ لهـم عُـذْرٌ يَنْجُـونَ بـه من العقوبة ولَمْ يكنْ حريصًا على عقوبتهم.

فَهَـلَّا أخذْنا هذا المسـلكَ عنه صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ مع مَـنْ بَلَغَنَا أنه وقع فيـما يُوْجِبُ حَدًّا أو تعزيرًا فنحرص على تبرئته أكثر من حرصنا على إثبات ذلك عليه ومعاقبته؟

ذاك خلـق الرحمـة المهداة صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ ونحـن نزعم أننـا أتباعه، فجديـرٌ بنـا أن نسـلك مسـلكه إلَّا في المسـتهتر الذي تكـرَّر ارتكابُه

---

(١) مقال بعنوان: أهمية الحوار في الإسلام، ينظر: http://cutt.us/oGE7J



للمحظورات فهذا لا نَتَوانَى في إثباتِ جُرْمِهِ وإنزال العقوبة التي يستحقُّها به لكن بهدف تقويمه وجعله عبرة لِمَنْ يَهِمُّ أن يسير على خطاه دون أنْ نزيدَ على ما يستحقُّ شرعًا.

القاعدة العاشرة: أن يكون خطابه على وجه الشفقة ومحبة الخير له ولزوم الرفق والرحمة به اقتداءً بالنبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في تقويم الأخطاء.

كما في حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قَامَ أَعْرَابِيٌّ فَبَالَ فِي الْمَسْجِدِ فَتَنَاوَلَهُ النَّاسُ فَقَالَ لَهُمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**دَعُوهُ وَهَرِيقُوا عَلَى بَوْلِهِ سَجْلًا مِنْ مَاءٍ، أَوْ ذَنُوبًا مِنْ مَاءٍ، فَإِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُيَسِّرِينَ، وَلَمْ تُبْعَثُوا مُعَسِّرِينَ**»[(١)].

وكما فعل مع معاوية بن الحكم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حين تكلَّم في الصَّلاة قال: بَيْنَا أَنَا أُصَلِّي مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذْ عَطَسَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ فَقُلْتُ: يَرْحَمُكَ اللهُ فَرَمَانِي الْقَوْمُ بِأَبْصَارِهِمْ فَقُلْتُ: وَاثُكْلَ أُمِّيَاهْ مَا شَأْنُكُمْ؟ تَنْظُرُونَ إِلَيَّ، فَجَعَلُوا يَضْرِبُونَ بِأَيْدِيهِمْ عَلَى أَفْخَاذِهِمْ فَلَمَّا رَأَيْتُهُمْ يُصَمِّتُونَنِي لَكِنِّي سَكَتُّ، فَلَمَّا صَلَّى رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

(١) أخرجه البخاري، كتاب الوضوء، باب: صب الماء على البول في المسجد (١/ ٥٤ برقم ٢٢٠).



-فَبِأَبِي هُوَ وَأُمِّي- مَا رَأَيْتُ مُعَلِّمًا قَبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ أَحْسَنَ تَعْلِيمًا مِنْهُ، فَوَاللهِ، مَا كَهَرَنِي وَلَا ضَرَبَنِي وَلَا شَتَمَنِي، قَالَ: «**إِنَّ هَذِهِ الصَّلَاةَ لَا يَصْلُحُ فِيهَا شَيْءٌ مِنْ كَلَامِ النَّاسِ، إِنَّمَا هُوَ التَّسْبِيحُ وَالتَّكْبِيرُ، وَقِرَاءَةُ الْقُرْآنِ**»[(١)].

وكما فعل مع أسامة بن زيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حين قتل الرجل بعد ما شهد شهادة الحق، فجعل يعاتبه على ما فعل في نفس المجلس حتى قال أسامة: «حَتَّى تَمَنَّيْتُ أَنِّي لَمْ أَكُنْ أَسْلَمْتُ قَبْلَ ذَلِكَ الْيَوْمِ»[(٢)].

ولكن هذا العتاب لم يتكرر ولمْ يُنْزِلْ أسامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن منزلته التي له عند رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

القاعدة الحادية عشرة: حسن التعامل معه وأن لا يحملنا خلافنا له وردُّنا عليه أو ما يوجبه الشرع من حد أو تعزير أو هجر أو تأديب على الحقد عليه وبغضه البغض الذي يترتب عليه فساد ذات البين.

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب: تحريم الكلام في الصلاة، ونسخ ما كان من إباحته (١/ ٣٨١ برقم ٥٣٧).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب المغازي، باب: بعث النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أسامة بن زيد إلى الحرقات من جهينة (٥/ ١٤٤ برقم ٤٢٦٩)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب: تحريم قتل الكافر بعد أن قال لا إله إلا الله (١/ ٩٧ برقم ٩٦).

بل نفعل كما فعل صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مع المخالفين من أصحابه، وكما كان موقف الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ من الثلاثة الذين خلفوا، وكيف كان فرحهم حين تاب الله عليهم، يجسد ذلك قول كعب بن مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «فَلَبِثْتُ بَعْدَ ذَلِكَ عَشْرَ لَيَالٍ حَتَّى كَمَلَتْ لَنَا خَمْسُونَ لَيْلَةً مِنْ حِينَ نَهَى رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ كَلَامِنَا فَلَمَّا صَلَّيْتُ صَلَاةَ الْفَجْرِ صُبْحَ خَمْسِينَ لَيْلَةً وَأَنَا عَلَى ظَهْرِ بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِنَا فَبَيْنَا أَنَا جَالِسٌ عَلَى الْحَالِ الَّتِي ذَكَرَ اللهُ قَدْ ضَاقَتْ عَلَيَّ نَفْسِي وَضَاقَتْ عَلَيَّ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ سَمِعْتُ صَوْتَ صَارِخٍ أَوْفَى عَلَى جَبَلِ سَلْعٍ بِأَعْلَى صَوْتِهِ: يَا كَعْبُ بْنَ مَالِكٍ أَبْشِرْ، قَالَ: فَخَرَرْتُ سَاجِدًا وَعَرَفْتُ أَنْ قَدْ جَاءَ فَرَجٌ، وَآذَنَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِتَوْبَةِ اللهِ عَلَيْنَا حِينَ صَلَّى صَلَاةَ الْفَجْرِ، فَذَهَبَ النَّاسُ يُبَشِّرُونَنَا وَذَهَبَ قِبَلَ صَاحِبَيَّ مُبَشِّرُونَ، وَرَكَضَ إِلَيَّ رَجُلٌ فَرَسًا وَسَعَى سَاعٍ مِنْ أَسْلَمَ فَأَوْفَى عَلَى الْجَبَلِ، وَكَانَ الصَّوْتُ أَسْرَعَ مِنْ الْفَرَسِ، فَلَمَّا جَاءَنِي الَّذِي سَمِعْتُ صَوْتَهُ يُبَشِّرُنِي نَزَعْتُ لَهُ ثَوْبَيَّ فَكَسَوْتُهُ إِيَّاهُمَا بِبُشْرَاهُ، وَاللهِ مَا أَمْلِكُ غَيْرَهُمَا يَوْمَئِذٍ، وَاسْتَعَرْتُ ثَوْبَيْنِ فَلَبِسْتُهُمَا وَانْطَلَقْتُ إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيَتَلَقَّانِي النَّاسُ فَوْجًا فَوْجًا يُهَنُّونِي بِالتَّوْبَةِ يَقُولُونَ لِتَهْنِكَ تَوْبَةُ اللهِ عَلَيْكَ، قَالَ كَعْبٌ: حَتَّى دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ فَإِذَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَالِسٌ حَوْلَهُ

النَّـاسُ، فَقَـامَ إِلَيَّ طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللهِ يُهَرْوِلُ حَتَّـى صَافَحَنِي وَهَنَّانِي، وَاللهِ مَـا قَـامَ إِلَيَّ رَجُلٌ مِنْ الْمُهَاجِرِيـنَ غَيْرُهُ وَلَا أَنْسَـاهَا لِطَلْحَةَ، قَالَ كَعْـبٌ: فَلَـمَّا سَـلَّمْتُ عَـلَى رَسُـولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَـالَ رَسُـولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يَبْرُقُ وَجْهُهُ مِنْ السُّرُورِ: «**أَبْشِرْ بِخَيْرِ يَوْمٍ مَرَّ عَلَيْكَ مُنْـذُ وَلَدَتْكَ أُمُّكَ**»، قَالَ: قُلْتُ:أَمِنْ عِنْدِكَ يَا رَسُـولَ اللهِ؟ أَمْ مِنْ عِنْدِ اللهِ؟ قَالَ: «**لَا بَلْ مِنْ عِنْدِ اللهِ**»، وَكَانَ رَسُـولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا سُرَّ اسْتَنَارَ وَجْهُهُ حَتَّى كَأَنَّهُ قِطْعَةُ قَمَرٍ، وَكُنَّا نَعْرِفُ ذَلِكَ مِنْهُ»(١).

فتأمَّـلْ هـذا الحديث المفصح عـن منهج الرفـق والرحمة والمحبة التي لا تزيلها العوارض ولا تطمسها العثرات.

القاعـدة الثانية عشـرة: معاقبتـه بالهجر أو غيره مما يصلح به حاله كما فعل النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مع الثلاثة الذين خُلِّفوا.

بـشرط أن لا يتجاوز في حقِّه الحدَّ الشرعي حيث إنَّ رسـول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ منع من التجاوز على المكثر من شرب الخمر.

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب المغازي، باب: حديث كعب بن مالك، وقول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ﴾ [التوبة: ١١٨] (٦/ ٣ برقم ٤٤١٨)، ومسلم، كتاب التوبة، باب: حديث توبة كعب بن مالك وصاحبيه (٤/ ٢١٢٠ برقم ٢٧٦٩).





فعـن أبي هريـرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قـال: أُتِيَ النَّبِـيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِرَجُـلٍ قَـدْ شَرِبَ، قَـالَ: «**اضْرِبُـوهُ**»، قَـالَ أَبُو هُرَيْـرَةَ: فَمِنَّا الضَّـارِبُ بِيَدِهِ، وَالضَّارِبُ بِنَعْلِهِ، وَالضَّـارِبُ بِثَوْبِهِ، فَلَمَّا انْصَرَفَ، قَالَ بَعْضُ القَوْمِ: أَخْزَاكَ اللهُ، قَالَ: «**لاَ تَقُولُوا هَكَذَا، لاَ تُعِينُوا عَلَيْهِ الشَّيْطَانَ**»[(١)].

وبشرط أن لا تترتب على عقوبته مفسـدة أكبر، وإذا كان هذا في عمـوم الأيام والأحوال فإن في زماننا هذا يجب الاعتناء بهذا الشرط وإعماله بقوة، فإن المفاسد المترتبة على الهجر لا تكاد تحصى كما سبق، وأين لنا مثل كعب بن مالك الذي صمد في وجه إغراء ملك غسـان الـذي اغتنم فرصـة هجر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابـه لكعب فأراد أن يحتويه ويسـتقطبه غير أن إيمان كعب وتقواه حالا دون ذلك، أما اليوم فكم هم الذين سيصمدون أمام عروض الأعداء المغرية.

القاعدة الثالثة عشرة: أن نعامله بعدل:

(فـإن العـدل فضيلة مطلقة لا تقييد في فضلـه فهو ممدوح في كل زمان وكل مكان وكل حال ممدوح من كل أحد مع كل أحد بخلاف كثير من الأخلاق فإنه يلحقها الاستثناء والتقييد.

---

(١) أخرجـه البخـاري، كتاب الحـدود، باب: الـضرب بالجريد والنعـال (٨/ ١٥٨ برقم ٦٧٧٧).



ولهذا اتفقت على فضله الشرائع والفطر والعقول وما من أمة أو أهل ملة إلا يرون للعدل مقامه.

وبالعـدل تحصل العبودية لله وحده وبه تُعطى الحقوق وتُرد المظالم وبه تأتلف القلوب؛ لأن من أسباب الاختلاف الظلم والبغي والعدوان وبه يُقبل القول أو يعذر قائله وبه تحصل الطمأنينة والاستقرار النفسي. ثم ينتج عن ذلك ازدهار العمران المادي والمعنوي، ولهذا تلحظ تناسبًا طرديًّا بين شيوع العدل وقوة العمران عند الأمم)[١].

القاعدة الرابعة عشـرة: التجرد مـن الهوى والعصبية في نظرتنا إليه، وحكمنا عليه.

قـال الله تعالى مخاطبًـا نبيـه داود عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةً فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدُۢ بِمَا نَسُواْ يَوۡمَ ٱلۡحِسَابِ ﴾ [ص٢٦].

هذا تنبيه لعبد الله ورسوله داود عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وهومن هو في عظمته، ومكانتـه عند الله، فكيف بمن دونه؟، وخاطب خيرة خلقه، وخاتم

(١) منهجية التعامل مع المخالفين، د سليمان الماجد (ص١١١).



أنبيائه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ محذِّرًا له من اتباع هوى المعارضين له فقال: ﴿فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُ وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ [الشورى:١٥].

وخاطب جميع المؤمنين بالتجرد عن الهوى فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُوا۟ وَإِن تَلْوُۥٓا۟ أَوْ تُعْرِضُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ [النساء:١٣٥].

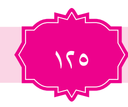
وجعل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اتباع الهوى من المهلكات، فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«وَأَمَّا الْمُهْلِكَاتُ فَشُحٌّ مُطَاعٌ وَهَوًى مُتَّبَعٌ وَإِعْجَابُ الْمَرْءِ بِنَفْسِهِ»**[(١)].

فعلى كل من يسعى لجمع كلمة المسلمين أو يستجيب لتلك الدعوة أن يتجرد عن هواه ويتخلى عن عصبيَّته.

(١) أخرجه البزار في مسنده (١٣/ ١١٤ برقم ٦٤٩١)، وابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (١/ ٥٦٨ برقم ٩٦١)، وصححه الألباني بمجموع طرقه. ينظر: السلسلة الصحيحة (٤/ ٤١٢ برقم ١٨٠٢).







فعن زكريا بن يحيى الكوفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: سمعت أبا بكر ابن عياش رَحِمَهُ ٱللَّهُ وقال له رجل: يَا أَبَا بَكْرٍ مَنِ السُّنِّيُّ؟ فَقَالَ: «السُّنِّيُّ الَّذِي إذا ذُكِرَتِ الْأَهْوَاءُ لَمْ يَتعصَبْ لِشَيْءٍ مِنْهَا»(١).

فالسُّنِّيُّ بريءٌ من التعصُّب ولو كان من يتعصب له من أفضل أئمة المسلمين.

قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (مَنْ تَعَصَّبَ لِأَهْلِ بَلْدَتِهِ أَوْ مَذْهَبِهِ أَوْ طَرِيقَتِهِ أَوْ قَرَابَتِهِ أَوْ لِأَصْدِقَائِهِ دُونَ غَيْرِهِمْ كَانَتْ فِيهِ شُعْبَةٌ مِنْ الْجَاهِلِيَّةِ حَتَّى يَكُونَ الْمُؤْمِنُونَ كَمَا أَمَرَهُمْ اللهُ تعالى مُعْتَصِمِينَ بِحَبْلِهِ وَكِتَابِهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ)(٢).

وقال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (التَّعَصُّبُ لِلْمَذَاهِبِ، وَالطَّرَائِقِ، وَالْمَشَايِخِ، وَتَفْضِيلُ بَعْضِهَا عَلَى بَعْضٍ بِالْهَوَى وَالْعَصَبِيَّةِ وَكَوْنُهُ مُنْتَسِبًا إليه فَيَدْعُو إلى ذَلِكَ وَيُوَالِي عَلَيْهِ وَيُعَادِي عَلَيْهِ وَيَزِنُ النَّاسَ بِهِ كُلُّ هَذَا مِنْ دَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ)(٣).

---

(١) أخرجه الآجري في الشريعة (٥/ ٢٥٥٠ برقم ٢٠٥٨).

(٢) مجموع الفتاوى (٢٨/ ٤٢٢).

(٣) زاد المعاد، ابن قيم الجوزية (٢/ ٤٣١).





وقال العلَّامة ابن حجر الهيتمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (التَّعَصُّبُ لِلْمَذَاهِبِ وَالْأَهْوَاءِ وَالْحِقْدُ عَلَى الْخُصُومِ وَالنَّظَرُ إليهم بِعَيْنِ الْازْدِرَاءِ وَالِاحْتِقَارِ وَذَلِكَ مِمَّا يُهْلِكُ الْعُبَّادَ وَالْعُلَمَاءَ فَضْلًا عَنْ غَيْرِهِمْ، فَإِنَّ الِاشْتِغَالَ بِالطَّعْنِ فِي النَّاسِ وَذِكْرِ نَقَائِصِهِمْ مِمَّا جُبِلَ عَلَيْهِ الطَّبْعُ، فَإذا خَيَّلَ الشَّيْطَانُ إليه أَنَّ ذَلِكَ هُوَ الْحَقُّ زَادَ فِيهِ وَاسْتَكْثَرَ وَحَلَا لَهُ وَفَرِحَ بِهِ ظَنًّا مِنْهُ أَنَّهُ يَسْعَى فِي الدِّينِ وَمَا هُوَ إلَّا سَاعٍ فِي اتِّبَاعِ الشَّيْطَانِ دُونَ اتِّبَاعِ الْمُتَعَصَّبِ لَهُ مِنْ الصَّحَابَةِ أَوْ مَنْ بَعْدَهُمْ، وَلَوْ اعْتَنَى بِصَلَاحِ نَفْسِهِ وَكَانَ عَلَى نَحْوِ أَخْلَاقِ مَنْ تَعَصَّبَ لَهُ لَكَانَ ذَلِكَ هُوَ الْأَوْلَى لَهُ وَالْأَحْرَى بِهِ، ظَنُّ أَنَّ التَّعَصُّبَ لَهُ بِنَقْصِ النَّاسِ وَاحْتِقَارِهِمْ بِحُبِّهِ إليه كَاذِبٌ، فَإِنَّهُ لَوْ كَانَ حَيًّا لَمْ يَتَعَصَّبْ لِنَفْسِهِ وَعَفَا عَمَّنْ سَفِهَ عَلَيْهِ، فَاتِّبَاعُهُ أَوْلَى بِذَلِكَ مِنْهُ، وَكُلُّ مَنْ تَعَصَّبَ لِإِمَامٍ وَلَمْ يَسِرْ عَلَى سِيرَتِهِ فَذَلِكَ الْإِمَامُ هُوَ خَصْمُهُ وَمِنْ جُمْلَةِ الْمُوَبِّخِينَ لَهُ)(١).

القاعدة الخامسة عشرة: الصدق التام والشامل:

وهذه القاعدة يجب أن تهيمن على كل ما ذكر وما لم يذكر وحقيقتها: الصدق مع الله ومع النفس ومع من نتعامل معه من الخَلْق واجتناب كل ما يناقض الصدق.

---

(١) الزواجر عن اقتراف الكبائر، ابن حجر الهيتمي (١/ ١٦٣).



فكلُّ ما ذكر من تشخيص لحال الأمة وكل ما سيقوم به الساعون لإصلاح حالها وما يجب أن يستشعره المصلحون من الخطر المحدق بها وما ينادي به المنادون من وجوب جمع الكلمة ووحدة المواقف وما ذكر من أخلاق وسلوك ومعاملات تؤدي إلى جمع الكلمة وتوحيد المواقف وكل ما نفعله للثبات على الحال المَرْضي كل ذلك يجب أن يبنى على الصدق.

الصدق بمعناه الشامل الذي يدخل فيه صدق الحديث وصدق النية وصدق العهد وصدق الوعد وصدق المعاملة والصدق في كل تصرفات الإنسان.

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ [التوبة:١١٩]، وقال تعالى: ﴿ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌۚ فَإِذَا عَزَمَ ٱلْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُواْ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ﴾ [محمد:٢١].

وعن الحسن بن علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا قَالَ: حَفِظْتُ مِنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**دَعْ مَا يَرِيبُكَ، إِلى مَا لا يَرِيبُكَ، فَإِنَّ الصِّدْقَ طُمَأْنِينَةٌ، وَإِنَّ الْكَذِبَ رِيبَةٌ**»(١).

(١) أخرجه أحمد (٣/ ٢٤٩برقم ١٧٢٣)، والترمذي (٤/ ٦٦٨ برقم ٢٥١٨)، والدارمي (٣/ ٦٤٨ برقم ٢٥٧٤)، والحاكم في المستدرك (٤/ ١١٠ برقم ٧٠٤٦)، وصححه الألباني في إرواء الغليل (١/ ٤٤ برقم ١٢).



فبالصدق يطمئنُّ الفرد ويطمئن المجتمع، وبالكذب تسيطر الريبة على الفرد وعلى المجتمع مما يحول دون نجاح أي مشروع، سيما مثل هذا المشروع العظيم مشروع جمع كلمة أمة محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

القاعدة السادسة عشرة: أن نُحَكِّمَ نحن ومن يخالفنا الحاكم الذي لا يجور والمرجع الذي لا يكذب كتاب الله وسنة رسوله، كما قال تعالى: ﴿ وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ [الشورى:١٠].

وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ [النساء:٥٩]، وقال تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴾ [النساء:٦٥].

هذا ما تيسر جمعه وترتيبه أسأل الله أن يجعله خالصًا لوجهه محققًا لما وضع له ووسيلة لتوحيد مواقف عباده المؤمنين وتعاونهم على البر والتقوى.







المحتويات




تم بحمد الله


جماع الكلمة
للنشر والتوزيع
مركز الفكر للدراسات
حضرموت - تريم

